

# المسحاة

مجلة

المجلد السابع عشر  
الجزء الرابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

﴿ الجزء الرابع ﴾

٢٤١

﴿ المجلد السابع عشر ﴾

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعراج  
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبدون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « متارا » كمنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٢ هـ ق ٨ ربيع الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٧ مارث ١٩١٤

﴿ المجلد السابع عشر ﴾

( ٣١ )

( المنار ج ٤ )

## ﴿ استفتاء في فسخ نكاح المهر ﴾

ماقولكم في امرأة فقيرة غاب عنها زوجها من مدة سنين وترك عندها ولدا ولم يترك لها شيئا لنفقة ونفقة ولده ولم يرسل لهما سوى شيء يسير لا يقوم بنفقة الولد وكتبت له عدة كتب طابت منه النفقة الكاملة لها ولولدها أو الطلاق فتمت ولم يجوب عليها (?) ثم التمت من شيخه شيخ الجاوي فكتب له ولم (يجب) فهل لها طلب فسخ النكاح عند الحاكم الشافعي أم لا؟ وهل لو رفعت أمرها إليه وتحقق وثبت عنده جميع مآدعته المرأة بالبينة الكاملة وفسخ نكاحها يكون فسخه واقعا وموقعه ولها بعد تمام المدة من الفسخ المذكور الزوج أم لا؟ أفقونا مأجورين

## ﴿ جواب مني الشافعية بمكة المكرمة ﴾

باسمه سبحانه وتعالى أبتدي الجواب ، واستمد منه تعالى العون والهداية لتصواب في الحقيقة يقع كثير من بعض الرجال الظلم والتعدي والابذاء في حق النساء البائسات ، وذلك حرام وقاعله آثم مخلف لما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حقهن ، ومن ذلك الزوج بمن ثم السفر وتركهن بلا نفقة ولا منفق ، فجزى الله أماننا الشافعي رضي الله عنه خيرا حيث سوغ لهن فسخ النكاح عند ضررهن . ويسوغ للحاكم متى رهن أمرهن إليه أن يفسخ نكاحهن ، ثم بعد تمام المدة يتزوجن بمن شئن . وكذلك أمام دار الهجرة الأمام مالك رضي الله عنه . فالمرأة المسئولة متى رفعت أمرها إلى الحاكم وثبت لديه ضررها ودعواها فله حينئذ فسخ نكاحها من الزوج المذكور وفسخه سائق وواقع وموقع ، ولها بعد تمام عدة الفسخ المذكور الزوج بمن يقوم بشأنها . قال في الأسنى متنا وشرحا : واختار القاضي الطبري وابن الصباغ وغيرهما جواز الفسخ لها إذا تمذر تحصيلها للنفقة في غيبتها للضرورة ، وقال الروياني وابن اخته صاحب العدة أن المصلحة الفتوى به . وقال في فتح المعين : واختار جمع كثيرون من محققي المتأخرين في غائب تعذر تحصيل النفقة منه الفسخ ، وقواه ابن الصلاح . وقال في فتاويه : إذا تمذرت النفقة لعدم مال حاضر مع عدم إمكان أخذها منه حيث هو بكتاب حكى وغيره لا يكون له يرف موصمه أو عرف ولاكن تمذرت مطالبته عرف حاله في اليسار والاعسار أم لم يعرف فلها الفسخ بالحاكم والافتاء بالفسخ هو الصحيح اهـ ونقل شيخنا كلامه في الشرح الكبير ، وقال في آخره وأنتى بما



قاله جمع من متأخري اليمن . وقال المحقق الطمبداوى في فتاويه : والذي نختاره تبعاً للآئمة المحققين أنه ان لم يكن له مال كما سبق لها الفسخ وإنه كان ظاهر المذهب خلافه لقوله تعالى ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) ولقوله ( ص ) « بمث بالحنيفية السمحة » ولأن مدار الفسخ على الاضرار ولاشك أن الضرر موجود فيها اذا لم يمكن الحصول الى النفقة منه وإركان موسرا اذ سر الفسخ هو تضرر المرأه وهو موجود لاسبابها مع اعسارها فيكون تمذر وصولها الى النفقة حكمه حكم الاعسار اهـ

وقال السيد عبد الله بن عمر الحضرمي أنه يجوز فسخ النكاح من زوجها حضر أو غاب بتسعة شروط الى ان قال : ولو غاب الزوج وجهل يساره وإعساره باق طاع خبره ولم يكن له مال يمر حلتين فلها الفسخ بشرطه كما جزم به في النهاية وزكريا والمزجد والسباطي وابن زياد وابن قاسم والكروي وكثيرون . وقال ابن حجر في التحفة والفسخ وهو متجه مدركا لا نقلا اهـ بل اختار كثيرون وانقضى به بن عجيل وابن الصباغ والرويانى انه لو تمذر تحصيل النفقة من الزوج في ثلاثة ايام جاز لها الفسخ حضر الزوج أم غاب ، وقراه ابن الصلاح ورجحه ابن زياد والطمبداوى والمزجد وصاحب المذهب والكافي وغيرهم فيما اذا غاب وتمذرت النفقة منه ولو بنحو شكاية . قال ابن قاسم وهذا أولى من غيبة ماله وحده والجوز للفسخ . أما الفسخ بتضررها بطول الغيبة وشهوة الوقاع فلا يجوز اتفاقا وأن خافت الزنا والله سبحانه وتعالى أعلم

أمر برقه مفتي الشافعية بمكة المحمية الراجي غفران المسامح

عبد الله ابن السيد محمد صالح الزواوي

كان الله لهما آمين

الختم

صورة ما كتبه بعض كبار علماء الشافعية بالأزهر على هذه الفتوى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أفاد الملامة السيد محمطنى الذهبي في المسائل الفقهية أن أصل مذهب الامام الشافعي أنه لا فسخ مادام الزوج موسرا ، أي لم يعلم اعساره وان انقطع خبره وتمذر استيفاء النفقة منه ، وأن الذي جرى عليه ابن الصلاح وشيخ الاسلام وكثير من المحققين انه اذا تمذر استيفاء النفقة منه من كل الوجوه لا تقطع خبره او تعززه أي تواربه بحيث لا يتمكن الحاكم من جبره ، ولم يوجد اكل منهما مال فسيخت الزوجة بالحاكم ، قالوا لأن سر الفسخ بالاعسار هو التضرر ، والتضرر موجود هنا ولو مع



## ٢٦٨ بحث في خلاصة محاضرة الدكتور الهولندي (الناشر: ١٧٤٤)

اليسار ، فلا نظر لعدم تحقق الأعمار . وظاهر أنه لا إهمال هنا لأن سبب الفسخ كما علمت هو محض الضرر من غير نظر لليسار والأعمار انتهى وإن أردت بسط في المقام فراجع المسائل المذكورة صحيفة ٦٧ و ٨ - والله أعلم

كتبه

كتبه

كتبه

محمد التجدي سليمان العبد بالأزهر الشريف محمد إبراهيم القاياني الشافعي  
(الناشر) إن ما علل به أولئك الفقهاء جواز الفسخ صحيح وإن رفع الحرج ونفي الضرر والضرار قطعي في الشريعة ، ومن أشد الضرر والحرج والعنت عدم القيام بحق الزوجية الثابت بحديث « وإن لزوجك عليك حقاً » المتفق عليه . فلا عبرة بقول من قال أنه لا يفسخ به وإن خاف الزنا على نفسه ، لأنه خلاف لأدلة الشرع القطعية . وقد سبق لنا في الناشر بيان فتوى المشيخة الإسلامية في الأسانيد بالفسخ على الغائب والمسر ، وصدور الإرادة السنية بذلك

﴿ محاضرة الدكتور كريستيان سنوك هرنغنج الهولندي ﴾

( في الإسلام ومستقبل المسلمين )

وعداً أن نعلق شيئاً على هذه المحاضرة التي نشرناها في الجزء الماضي ووقعه بأوعد نقول

(١) يظهر من كلام الدكتور أنه احتبر المسلمين اختباراً واسماً قلما يصل إلى مثل غوره الأجنبي ، فهو قد أصاب في أكثر ما ذكره عنهم من رأي وخير ، ولكنه ما عرف حقيقة الإسلام وكنهه ، وأن له أن يعرف ذلك ومن أين يعرفه ؟ يقول أنه درس الإسلام وعرف أصوله وفروعه من مكة المكرمة حيث أقام ثمانية أشهر يتلقى عن بعض العلماء ! سبحان الله ! إن أهل مكة أقل أهل الأمصار الإسلامية عناية بالعلم الديني وغيره ، ومن يوجد فيها من المدرسين العرباء ، فقلما يوجد فيهم أحد من المبرزين الأقوياء ، وإن وجد فيهم من يتفنن بعض العلوم الشرعية ، فهو لا يقرأ الدروس الأعلى طريقة متأخري المسلمين العقيمة ، طريقة المناقشة في عبارات بعض كتب المذاهب - قلنا ثمانية الأشهر لا تكفيه لقراءة عقيدة كالنفسية أو السنوسية ، ونحوهما من كتب الكلام على مذهب الأشعرية ، ولا لقراءة باب الطهارة والملاحة من متوسطات كتب الشافعية أو الحنفية . وعلم الكلام الذي هو علم فلسفة العقائد الإسلامية يقول فيه الإمام الغزالي أنه ليس من علوم الدين وإنما هو حارس

## (النتائج ٤م ١٧) إزالة أوروبا لاستقلال المسلمين السياسي والديني ٢٦٩

للعقيدة كالسكر الذين يحرسون البلاد أو الحجاج مثلاً . بل نقول أننا على سعة اختبارنا للعالم الإسلامي لا نعرف مكاناً في الأرض تبين فيه حقيقة الإسلام التي يمثلها القرآن وسنة الرسول المتبعة وسيرة السلف الصالح، من العقائد والأخلاق والآداب، والسياسة والإدارة والنقضاء، تبياناً سالماً من الشوائب والأوهام، بحيث تتلقى بسهولة في ثمانية أشهر أو أعوام ( وأرجو أن يوفق لهذا من يخرجون في مدرسة دار الدعوة والإرشاد ) .

(٢) اعترف هذا الدكتور الهولندي بأنه ادعى الإسلام ثقافاً أو خداعاً للمسلمين ليسر غورهم وغور دينهم من حيث تأثيره في حياتهم المدنية والسياسية . وقد فعل مثل هذا غيره من أفراد الشعوب الأوروبية أصحاب المستعمرات الإسلامية، كالفرنسيين والروس والانكليز . ولو كان للمسلمين حكومات منظمة، وجهيات إصلاحية عامة، لما تيسر هؤلاء الجواسيس ما يتيسر لهم وأمر المسلمين فوضى . واتسأرى هؤلاء المستعمرين يراقبون كل غريب يدخل مستعمراتهم ولا سبيلاً إذا كان مسلماً . فلا يفوتهم من حركته ولا أقواله شيء .

(٣) بين الدكتور أن الإسلام الديني، كان قائماً على أساس الإسلام السياسي، وأن المسلمين كانوا واثنين بدنيهم راضين به إذ كانوا أحراراً يرون أن العلم كله ملك لهم بأنهم أو بالفوة، عليهم أن يفتحوا منه ما لم يفتحوه . وهذا الذي ذكره عن المسلمين هو الذي عليه الأفرنج الآن، فهم يرون أن العلم كله ملك لهم، ولذلك يتفقون فيما بينهم على اقتسام الممالك المستقلة ثم ينفذون ذلك . ولا مجال هنا للبحث في تفصيل هذا وبيان ما أخذه . ولكننا ننبه عقلاء القراء إلى الاعتبار بحالهم السابقة وحال الأوروبيين الحاضرة، ثم المبرة كل المبرة فيما رتبته هذا السياسي الكبير على هذا وهو .

(٤) بين أن الأوروبيين قد سلبوا المسلمين ذلك الاستقلال والحرية بالتدريج، فاضطر المسلمون إلى تعديل أفكارهم في الإسلام الديني، بمد زوال الأساس الذي بني عليه وهو الاستقلال السياسي . ثم نقل أن بعض الساسة الأوروبيين يرون أن سقوط الإسلام الديني يتبع سقوطه السياسي، فنزول الإسلام من الأرض، وأنه يخالفهم في ذلك، ويرى أن الإسلام الديني لا يزول كما أنه لا يبقى كما كان في عهد استقلاله والثقة به، وسند كرم ملخص رأيه فيه . والعبر لمن يعقل من المسلمين في هذا كثيرة، ومن أهمها غرور المفتونين من المسلمين الذين يظنون أنهم يحفظون

## ٢٧٠ خذلان المبشرين في تنصير المسلمين وكيف يهدم الاسلام (المنار- ج ١٧٤)

استقلالهم السياسي او يؤسسون لهم استقلالاً جديداً مع ترك الدين ، فان هذا اذا جاز في غير الاسلام لا يجوز فيه ، لان جميع انقومات الامة جعلها الاسلام اسلامية (٥) كما بين ازالة اوروبية لاستقلال الاسلام السياسي بالاستيلاء على ممالكه الواسعة ، بين تصرفها في ازالة استقلال افراد المسلمين في انفسهم ، بما ينه من تفاؤل الآراء الاوربية في افكارهم ، وزلزلتها لكثير من مقوماتهم ومشخصاتهم المالية التي يمتازون بها عن غيرهم ، وبها كانوا امة واحدة ، وبين ان ازالة بعض المميزات المادية كاللباس ، له دخل في ازالة المميزات الدينية كالحصاة ، فقال ان اداء الصلوات الخمس صار متعذراً على المتفرنجين ، الذين يلبسون الزي الافرنجي (قال) وسببهم الصيام . فحزم بأنهم يتركونه ، وبأن الشرائع التي كانت مقدسة تامة ستكون خاصة بحجاج مكة والمتصوفة !

وطالما نبهنا المسلمين على ضرر هذا الانسلاخ من العادات والاخلاق بتقليد الافرنج . وقد فطنا لهذه المسألة في اثناء اشتغالنا بطلب العلم بطرابلس الشام ، فكتبنا في بحث الزي واللباس فصلاً طويلاً بينا فيه انه ليس للاسلام زي ديني خاص ، وان ضرر تغيير الزي سياسي اجتماعي ، وانما يمس الدين ويكون محرماً شرعاً لاسباب عارضة ككونه ضيقاً يمنع من اداء الصلاة . ولكن جماهير المسلمين لا يزالون بمنزل عن فهم امثال هذه التنبيهات والنصائح ، حتى انه يستخر بها من يعدون انفسهم من الفلاسفة والسياسيين ، وانما هم من السفهاء المقتونين .

(٦) ذكر من اثر سلطان الاسلام في اهله ان الآراء الاوربية على شدة تفلطحها في انفس المسلمين وتحويلها لعاداتهم وافكارهم ، وتغييرها لشؤون حياتهم ، لم تقو على محو الشعور الديني من قلوبهم ، حتى انه كان يعرف تلاميذه المسلمين من غيرهم ، بمجرد قراءته لمنشأهم ، لان روح الاسلام لا بد ان تتجلى في عبارتها

(٧) يعطى الدكتور بهذا وغيره ما رآه ورواه من خذلان دعاة النصرانية (المبشرين) فيما يحاولون من تنصير المسلمين ، ويجزم بأن التغيير الذي ادخلته اوروبا على الاسلام لا ينتهي بتنصير المسلمين ، لأنهم يعرفون النصرانية ويمتدنون انها فسدت وان الاسلام ارقى منها . وهذا القول الذي قاله صحيح وان كان يجمله من لم يكن له مثل علمه واختباره . فنحن نفتقد ان أصل النصرانية صحيح ، وانه طراً عليها التبديل والتغيير ، وان الله اكمل دينه بالاسلام ، على سنته في الذموء وترقي الاجتماع في الاقوام .

(٨) رأي الدكتور في مستقبل المسلمين الذي اطل في بيانه هو انهم يكونون



## (المناجـح ١٧م٤) إزالة أوربة لاستقلال الاسلام وغفلة المسلمين عن أنفسهم ٢٧١

مثل اليهود في زوال انك والرضا بحكم الاوربيين وسيادتهم ، مع المحافظة على شعور دينهم وبعض تقاليده مثلهم ، ومجاعة الافرنج في سائر الشؤون وان كان فيها ترك احكام الاسلام وآدابه . واستدل على ذلك بحول افكار المسلمين عن الرضاء بالتربية الدينية القديمة الى لغات الاوربيين وعلومهم وتربيتهم .

(٩) يرى هذا الدكتور الهولندي ما يراه الفرنسيون وغيرهم ان ما يراد ادخاله على الاسلام من الآراء والافكار التي يريدونها دعاء النصرانية يجب ان يبت في المسلمين باسم المدنية لا باسم الدين ، فحينئذ تقبل . وهذا ما تجري عليه فرنسا في مستعمراتها الاسلامية . يعني ان المسلمين قد فتنوا باسم المدنية الاوربية ومظاهرها فهم يقبلون من بابها كل شيء ، - وان لم يوصل اليها - لا يميزون بين كفر وايمان ، ولا بين ضار ونافع . واما ثقتهم بدينهم ورؤيتهم دين النصرانية دونه فها مما يحول دون قبولهم لشيء ما من دعاء النصرانية باسم النصرانية .

(١٠) ملخص المحاضرة أن أوربة ازلت استقلال الاسلام السياسي وانزعت ملك المسلمين من ايديهم بالتدريج ، وانها شرعت في ازالة سائر مقوماتهم وشخصاتهم القومية التي كانوا بها أمة واحدة ، دينية وغير دينية ، حتى اللغات والعادات واركان الدين - وان اهل الرأي فيها مختلفون في دين الاسلام نفسه هل يمكن ازالته من الارض بعد اسقاط الحكومات الاسلامية كلها ام لا . فبعضهم يرون امكان ذلك فيبدلون الملايين لدعاة النصرانية لتتصير المسلمين . وبعضهم يرى ان الاسلام لا يزول بالرة ، ولكن ينبغي ان تزال ثقة المسلمين به ، وأن يحولوا باسم المدنية عن جميع ما يربط بعضهم بعض حتى اللباس ، فهذا يكونون فعلة وزراعا للسادة المساكين لبلادهم ، اذ لا يستغنون عنهم في استخراج خيرات الارض . وهذا ما يسعى اليه قوم آخرون .

ومن العجائب ان محاضرة كهذه تترجمها جريدة سورية بالعربية ، وتجعل عنوانها (مقاومة الاسلام لنفوذ النصرانية !!) كأنه كبر عليها قول الحبيب ان المبشرين لا يستطيعون تصير المسلمين ، فمدت هذا من مقاومة الاسلام للنصرانية ، وهكذا تقول بعض الجرائد القبطية هنا اذا قابل بعض المسلمين طعن المبشرين بجزء من الف جزء . فتنى يفهم المسلمون ومتى يغفلون ؟

(١١) نحن نعلم قول الكاتب وفقا لكثير من احرار الافرنج : ان أوربة قد ازلت استقلال الاسلام السياسي ، ولا يصدقنا عن هذا التسليم ابقاء او بقاء خيال من الاستقلال ضعيف في بعض البلاد ، يدبر بعضه النفوذ الاوربي ظاهرا وباطنا او

## ٢٧٢ مستقبل الاسلام السياسي والدني وقوته (العدد ٤٧م ١٧)

باطنا فقط ، ولا وجود بعض الامارات الصغيرة غير المنظمة التي يدور حولها النفوذ الاوربي ولا يجد له الآن منفذا للدخول في احشائها كقالب جزيرة العرب . ولو كان عدد المفلاء الذين يفهمون هذه الحقيقة ولا يفترقون بخيال الاستغلال الرسمي او ظلاله مثلنا كثيرا ، لكان نهوض الاسلام من سقوطه السياسي والدني قريبا ، ولكن جمهور المسلمين الاكبر كالأطنانال الذين يظنون ان الصور المتحركة التي يرونها في الملاعب تمثل الملوك والجيوش والوقائع هي من الاحياء التي تحرك وتعمل بارادتها . ولو عرف الدكتور الحاذق الثبه حقيقة الاسلام كما عرف احوال المسلمين الاجمائية ، ولو دقق نظره بمد ذلك في شؤون المسلمين فضل تدقيق ، وقاس حاضرمم الذي عرفه بماضيهم القريب المنظم ، وماضيهم البعيد المشرق ، - لالم ان في الاسلام قوة كامنة لم يكن لليهود مثلها ولا ما يقرب منها عند ما زال ملكهم ، ولا قبل ذلك ولا بعده . وللم ان هذه القوة لو وجدت من يحسن استخدامها والانتفاع بها لامكنه ان يملك بها الشرق كله ، او يكون سيده الاول ، ولكن من سوء حظ الشرق انه لم يوجد في هذه القرون الاخيرة عقل نير ادرك هذا بقوة اشتمه ولا همة عالية ارادت ان تصدى له ، الا نفل نابليون الكبير وهمته ولكن حالت الاقدار بينه وبينه . ولو عقل الدكتور السياسي هذا وخبره لاقنع دولته بأن تكون هي الدولة التي تسود الشرق بالمسلمين ، ولو اقمها لامكنها ذلك وان كان مسلمو بلادها اضعف من غيرهم في قوتي العلم والعمل ، وفي الجدالت والطارف . أما لو فطنت لمثل هذا العمل فرنسة أو انكلترة لكانت كل منهما اقدر عليه من غيرها .

فاذا ظلت هذه الدول التي تملك عشرات الملايين من المسلمين ، محجوبة عن هذه الحقيقة بما ضربه التاريخ دونها من حجب السياسة والدن ، فليس من البعيد ان تقطن له دولة اليابان ، ان صرح ما يظنه الأوروبيون من انهم قطعوا طرق الحياة كلها على هذه البقايا من دول الاسلام

وأما الاسلام الدني فهو لا يزداد الا قوة وجدة مهما حل بالاسلام بالسياسي ، وقد حفظ الدكتور منه شيئا وغاب عنه اشياء . فان كان بعض المتفرنجين قد تروا الصلاة والصيام ، ويظن «وكا يظنون ان الجماهير سيقتبسونهم في هذا الضلال ، افتانا بزخرف الشهوات المدنية ، وما تعبت بقولهم الآراء الاوربية ، فليعلم ان عدد المسلمين يزيد ولا ينقص ، وان هؤلاء المتفرنجين المنقوين سيرجع بعضهم الى الهدى ، ويبقى المسلمون البعض الآخر نبت النوى ، وأن الاسلام دين المستقبل » سترهم آياتنا في الآفاق وفي اقصاهم حتى يتبين لهم انه الحق . أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ؟ ؟

## الباطنية وغلاة المتصوفة

( بدعهم وتأويلاتهم من فصول كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي )

### فصل

( ومنها ) بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا تعقل -  
يدعوز فيها أنها هي المقصود والمراد ، لا ما يفهم العربي - مسندة عندهم إلى  
أصل لا يعقل . وذلك أنهم - فيما ذكر العلماء - قوم أرادوا إبطال الشريعة  
جملة وتفصيلاً ، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في أيديهم ، فلم  
يمكنهم إلقاء ذلك صراحاً ، فإرد ذلك في وجوههم ، وتمتد إليهم أيدي  
الحكام - فصرفوا اعتناهم إلى التحال على ما قصدوا بأنواع من الخيل ،  
من جعلتها صرف الهمة من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة ،  
وإن الظواهر غير مرادة . فقالوا : كل ما ورد في الشرع من الظواهر  
في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية ، فهي أمثلة ورموز إلى بواطن .

\* \*

فما زعموا في الشرعيات أن الجأزة مبادرة الداعي للمستجيب بإفشاء  
سرّ إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق . ومعنى الغسل تجديد العهد على  
من فعل ذلك . ومعنى مجامعة البهيمة مقابحة من لا عهد له ولم يؤث -  
شيئاً من صدقة النجوى - وهي مائة وتسعة عشر درهماً عندهم - قالوا :  
فلذلك أوجب الشرع القتل على الفاعل والمنعول به ، والأفالبهيمة متى  
يجب القتل عليها ؟



## ٢٧٤ تأويلات الباطنية. لإبطال الشريعة الإسلامية (المنار - ج ٤ م ١٧)

والاحتلام ان يسبق لساؤه الى افشاء السر في غير محله، فعليه الغسل، أي تجديد المعاهدة. والطهر هو التبري من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الامام. والتيمم الاخذ من المأذون الى أن يسعد بمشاهدة الداعي والامام. والصيام هو الامساك عن كشف السر.

ولهم من هذا الافك كثير في الامور الالهية، وامور التكليف، وامور الآخرة، وكله حوم على ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً، اذ هم ثنوية ودهرية وإباحية، منكرون للنسب والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار والملائكة، - بل هم منكرون للربوبية. وهم المسمون بالباطنية.<sup>(١)</sup>

وربما تمسكوا بالحروف والاعداد بان الثقب في رأس الآدمي سبع، والكواكب السيارة سبع، وايام الاسبوع سبع، فهذا يدل على أن دور الأئمة سبعة، وبه يتم. وان الطبائع اربع، وفصول السنة اربع، فدل على أن اصول الاربعة هي السابق والتالي الاكسكان - عندهم - والناطق والاساس. - وهما الامامان. - والبروج اثنا عشر، يدل على أن الحجج اثنا عشر، وهم الدعاة، الى اواع من هذا القبل. وجميعها ليس فيه ما يقابل بالرد، لأن كل طائفة من المبتدعة سوى هؤلاء، ربما يتمسكون بشبهة تحتاج الى النظر فيها معهم. أما هؤلاء فقد دخلوا في الهذيان الرتبة، وصاروا عرضة للزئ، وضحكة للعالمين. وانما ينسبون هذه الاباطيل الى الامام المعصوم الذي زعموه، وابطال الأئمة معلوم في كتب المتكلمين.

(١) انقسمت الباطنية الى عدة فرق يجمعهم القول بجعل ظواهر النصوص غير مرادة، والذهاب في تأويلها مذاهب من التحكم لا تتفق مع اللغة في مجاز ولا كناية. والقول بامام معصوم، وقد يسمونه باسم آخر، ويحجلونه بعد ذلك إلهاً. وآخر فرقهم الباطية البهائية

ولكن لا بد من نكتة مختصرة في الرد عليهم .

فلا يخلو ان يكون ذلك عندهم ما من جهة دعوى بالضرورة وهو محال، لأن الضروري هو ما يشترك فيه العقلاء علما وادراكا، وهذا ليس كذلك. واما من جهة الامام المعصوم بسماعهم منه لتلك التأويلات. فنقول لمن زعم ذلك: ما الذي دعاك الى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم سوى المعجزة؟ وليس لا مامك معجزة، فالقرآن يدل على أن المراد ظاهره، لا ما زعمت. فان قال: ظاهر القرآن رموز الى بواطن فهمها الامام المعصوم ولم يفهمها الناس فتعلمناها منه. قيل لهم: من أي جهة تعلمتموها منه؟ أبشادة قلبه بالعين؟ أو بسماع منه؟ ولا بد من الاستناد الى السماع بالاذن. فيقال: فامل لفظه ظاهر له باطن لم تفهمه، ولم يطلعك عليه، فلا يوثق بما فهمت من ظاهر لفظه. فان قال: صرح بالمعنى. وقال: ما ذكرته ظاهر لا رمز فيه، او: واما ظاهره. قيل له: وبماذا عرفت قوله انه ظاهر لا رمز فيه، بل انه كما قال؟ اذ يمكن أن يكون له باطن لم تفهمه ايضا، حتى لو حلف بالطلاق الظاهر انه لم يقصد الا الظاهر، لاحتمال أن يكون في طلاقه رمز هو باطنه وليس مقتضى الظاهر. فان قال: ذلك يؤدي الى حسم باب التفهيم. قيل له: فانتم حسمتموه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم، فان القرآن دأب على تقرير الوجدانية، والجنة، والنار، والحشر، والنشر، والانباء، والوحي، والملائكة، مؤكداً ذلك كله بالقسم. واتم تقولون: ان ظاهره غير مراد واز تحته رمزا. فان جاز ذلك عندهم بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة وسر له في الرمز، جاز بالنسبة الى معصومكم أن يظهر لكم خلاف ما يضمرة لمصلحة وسر له فيه، وهذا لا محيص لهم عنه.

\*  
\* \*

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: ينبغي أن يعرف الإنسان رتبة هذه الفرقة هي أحسن من رتبة كل فرقة من فرق الضلال، إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية. إذ مذهبها إبطال النظر، وتغيير الالفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز. وكل ما يتصور أن تنطق به السانهم فاما نظر أو نقل. أما النظر فقد إبطوه. وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه. فلا يبقى لهم معتصم. والتوفيق بيد الله.

\*  
\* \*

وذكر ابن العربي في العواصم مأخذاً آخر في الرد عليهم أسهل من هذا. وقال أنهم لا قبل لهم به - وهو أن يسلط عليهم في كل ما يدعونه السؤال «بكم» خاصة، فكل من وجهت عليه - منهم سقط في يده. وحكى في ذلك حكاية ظريفة يحسن موقفاً لها هنا. وتصور المذهب كاف في ظهور بطلانه، إلا أنه مع ظهور فساد وبعده عن الشرع قد اعتمده طوائف وبنوا عليه بدعاً فاحشة (منها) مذهب المهدي المغربي. فانه عد نفسه الامام المنتظر، وانه معصوم حتى ان من شك في عصمته أو في أنه المهدي المنتظر فهو كافر.

وقد زعم ذووه انه ألف في الامامة كتاباً ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام، وان مدة الخلافة ثلاثون سنة، وبعد ذلك فرق واهواً وعوشع مطاع، وهوى متبع، وأعجاب كل ذي رأي برأيه، فلم يزل الامر على ذلك، والباطل ظاهراً والحق



كامن ، واللم مرفوع - كما اخبر عليه الصلاة والسلام - والجهل ظاهر ، ولم يبق من الدين الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، حتى جاء الله بالامام فاعاد الله به الدين - كما قال عليه الصلاة والسلام « بديء الدين غريبا وسيعود غريبا كما بديء فطوبى للغرباء » وقال : ان طائفتهم الغرباء ، زعماء من غير برهان زائد على الدعوى . وقال في ذلك الكتاب : جاء الله بالهدي ، وطاعته صافية نقية ، لم ير مثله قبل ولا بعد ، وان به قامت السموات ، والارض به تقوم ، ولا ضده ، ولا مثل ، ولا ند . وكذب ، تعالى الله عن قوله . وهذا كما نزل احاديث الترمذي وابي داود في الفاطمي على نفسه وانه هو بلا شك .

واول اظهره لذلك انه قام في اصحابه خطيبا فقال : الحمد لله الفاعل لما يريد ، القاضي لما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على النبي البث رب المهدي ، يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله اذا نسخ الحق بالباطل ، وازيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الاقصى ، وزمانه آخر الزمان ، واسمه اسم انبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ظهر جور الامراء ، وامتلات الارض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل . يشير الى ما جاء في احاديث الفاطمي .

فلما فرغ بادر اليه من اصحابه عشرة . فقالوا : هذه الصفة لا توجد الا فيك ، فانت المهدي . فبايعوه على ذلك . وحدث في دين الله احداثا كثيرة زيادة الى الاقرار بانه المهدي المداوم ، والتخصيص بالعصمة . ثم وضع ذلك في الخطب ، وضرب في السكك ، بل كانت تلك الكلمة عندهم

ثالثة الشهادة . فن لم يؤمن بها أو شك فيها ، فهو كافر كسائر الكفار .  
وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها . وهي نحو من ثمانية عشر  
موضعاً . كترك امتثال امر من يستمع امره ، وترك حضور مواعظه  
ثلاث مرات ، والمداهنة اذا ظهرت في احد قتل ، واشياء كثيرة .

وكان مذهبه البدعة الظاهرية ، ومع ذلك فابتدع اشياء ، كوجوه  
من التشويب ، اذ كانوا ينادون عند الصلاة « بتا صاليت الاسلام » و « بقيام  
تا صاليت » و « سر دين » و « باردي » و « واصبح ولله الحمد » وغيره .  
جفى العمل بجميعها في زمان الموحدين . وبقي اكثرها بعد ما انقرضت  
دولتهم . حتى اني ادركت بنفسي في جامع غرناطة الاعظم الرضا عن الامام  
المعصوم . المهدي المعلوم ، الى أن أزيلت وبقيت اشياء كثيرة غفل  
عنها أو اغفلت .

وقد كان السلطان ابو العلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد  
المؤمن بن علي منهم . ظهر له قببح ما هم عليه من هذه الابتداعات . فامر -  
حين استقر بمراكش - خليفته بازالة جميع ما ابتدع من قبله ، وكتب بذلك  
رسالة الى الاقطار يأمر فيها بتغيير تلك السنة ، ويوصي بتقوى الله  
والاستعانة به ، والتروكل عليه ، وانه قد نبذ الباطل وظهر الحق ، وان  
لا مهدي الا عيسى ، وان ما ادعوه انه المهدي بدعة ازلها ، واسقط اسم من  
لا تثبت عصمته .

ودكر أن اباه المنصور هم بان يصدع بما به صدع ، وان يرفع الحرف  
الذي رفع ، فلم يساعد الا لاجل لذلك . ثم لما مات واستخلف ابنه ابو محمد  
عبد الواحد الملقب بالرشيدي ، وفد اليه جماعة من اهل ذلك المذهب المنسبين

بالموحدين ، فقتلوا منه في الذروة والغارب ، وضمنوا على انفسهم الدخول تحت طاعته، والوقوف على قدم الخدمة بين يديه، والمدافعة عنه بما استطاعوا، لكن على شرط ذكر المهدي وتخصيصه بالعصمة في الخطبة والمحاطبات، ونقش اسمه الخاص في السكك، واعادة الدعاء بعد الصلاة، والنداء عليها « بتاصيلت الاسلام » عند كمال الاذان و « بتقام تاصيلت » وهي اقامة الصلاة، وما اشبه ذلك من « سودرين » و « وقادري » و « اصبح ولله الحمد » وغير ذلك .

وقد كان الرشيد استمر على العمل بما رسم ابوه من ترك ذلك كله ، فلما اتدب الموحدون الى الطاعة اشترطوا اعادته مترك ، فاسفوا فيه . فلما احتلوا منازلهم اياما ولم يعد شيء من تلك العوائد ، ساءت ظنونهم، وتوقعوا انقطاع ما هو عمدهم في دينهم ، وبلغ ذلك الرشيد ، فجدد تأديتهم باعادتها .

قال المؤرخ : فيا لله ! ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح لسماع تلك الامور ، وانطلقت السننهم بالدعاء لخليفتهم بالنصر والتأييد، وشملت الافراح فيهم الكبير والصغير. وهذا شأن صاحب البدعة، فلن يسر باعظم من انتشار بدعته وانظارها (ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا) وهذا كله دائر على القول بالامامة والعصمة الذي هو رأى الشيعة .

## فصل

(ومنها) رأى قوم التغالي في تعظيم شيوخهم ، حتى أحقوهم بما لا يستحقونه . فالقصد منهم يزعم أنه لا ولي لله اعظم من فلان ، وربما



اغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة الا هذا المذكور . وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون ابدأً مبالغ المتقدمين . فخير القرون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهكذا يكون الامر ابدأً الى قيام الساعة . فاقوى ما كان اهل الاسلام في دينهم واعمالهم وبيعتهم واحوالهم في اول الاسلام . ثم لا زال ينقص شيئاً فشيئاً الى آخر الدنيا . لكن لا يذهب الحق جملة ، بل لا بد من طائفة تقوم به وتعتقده . وتعمل بمقتضاه على حسبهم في ايمانهم . لا ما كان عليه الاولون من كل وجه ، لانه لو أفتق احد من المتأخرين وزن احد ذهباً ما بلغ مدّاً أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصيفه . واذا كان ذلك في المال فكذلك في سائر شعب الايمان ، بشهادة التجربة المادية .

ولما تقدم اول الكتاب انه لا يزال الدين في نقص فهو اصلي لا شك فيه . وهو عند اهل السنة والجماعة . فكيف يستقد بعد ذلك في انه ولي اهل الارض ؟ وليس في الامم ولي غيره ؟ لكن الجمل الغالب ، والغلو في التظيم ، والتعصب للنحل ، يؤدي الى مثله أو أعظم منه . والمتوسط يزعم انه مساو للنبي صلى الله عليه وسلم ، الا انه لا يأتيه الوحي . بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيخهم ، الحاملين لطريقهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه . والغالي <sup>(١)</sup> يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى اصحاب الحلاج في الحلاج .

(١) نص النسخة التي نطبع عنها « والغالي »

وقد حدثني بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق في النقل انه قال :  
اقت زمانا في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار اليها  
كثير - قال - فخرجت يوما من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم  
قاعدين ، فاتهمتهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهما ، فقربت منهما  
على استخفاء لأسمع من كلامهم ، - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم -  
فحدثنا في شيخهم وعظم منزلته ، وانه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه  
المقابلة طربا عظيما ، ثم قال أحدهما للآخر : أحب الحق ؟ هو النبي . قال :  
نعم هذا هو الحق . قل المخبر : فقامت من ذلك المكان فارًا أن يصيبني  
معهم قارعة .

وهذا نمط الشيعة الامامية . ولولا الغلو في الدين والتكالب على نصر  
المذهب ، والتهالك في محبة المبتدع ، - لما وسع ذلك عقل احد ، ولكن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر  
وذراعا بذراع » الحديث . فمؤلاؤا خلوا كماغات النصارى في عيسى عليه  
السلام . حيث قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . - فقال : الله تعالى  
( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد  
ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ) وفي الحديث « لا  
تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » .  
ومن تأمل هذه الاصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة  
كثيرا ، لأن البدعة اذا دخلت في الاصل سهلت مداخلتها الفروع .

## فصل

واضعف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الاعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلانا الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق مثل هذا كثيرا للمتمرسين <sup>(١)</sup> برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال لي كذا وامرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الانبياء لا يحكم بها شرعا على حال الا ان تعرض على ما في ايدينا من الاحكام الشرعية ، فان سوغتها عمل بمقتضاها ، والا وجب تركها والاعراض عنها ، وانما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة . وأما استفادة الاحكام فلا . كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله ان لا يميت قلبي . فقال « قل كل يوم اربعين مرة يا حي يا قيوم ، لا اله الا انت » فهذا كلام حسن لا اشكال في صحته ، وكون الذكر يحيي القلب صحيح شرعا . وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة . وانما يبقى الكلام في التحديد بالاربعين ، واذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله ، قال : رأيت ربي في المنام ، فقلت : كيف الطريق اليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال . وشأن هذا الكلام من الشرع موجود ، فالعمل بمقتضاه صحيح ، لانه كالتنبيه لموضع الدليل ،

(١) تمرس بالشيء احتك به ، وتمرس بدينه تلعب به وعيث كما يعيث البعير ، والمراد بهم هنا المقلدون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون اخلاقهم واعمالهم

## ( المار ج ٤ م ١٧ ) رؤية النبي في النوم وشروط صحتها ٢٨٣

لان ترك النفس معناه ترك هواها باطلاق ، والوقوف على قدم العبودية . والآيات تدل على هذا المعنى ، كقوله تعالى ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ) وما أشبه ذلك . فلو رأى في النوم قائلا يقول : ان فلانا سرق فاقطعه ، أو عالم فأسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فخذ ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، والا كان عاملا بغير شريعة ، اذ ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي .

ولا يقال : إن الرؤيا من اجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل . وأيضا إن المخبر في المنام قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قد قال « من رآني في النوم فقد رآني حقا ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » واذا كان :.. فأخباره في النوم كإخباره في اليقظة .

لانا نقول : ان كانت الرؤيا من اجزاء النبوة فليست اليها من كمال الوحي ، بل جزء من اجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل انما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت الى جهة البشارة والندارة ، وفيها كاف<sup>(١)</sup>

وأيضا فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها ان تكون صالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .

وأيضا فهي منقسمة الى الحلم ، وهو من الشيطان ، والى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض اخلاط ، فتمتتعين الصالحة حتى

(١) كذا ولعل في الكلام حذفا



٢٨٤ ما يخبر به النبي من يراه في نومه لا يخالف شرعه (المنار ج ١٧م ١٧)

يحكم بها وتترك غير الصالحة ؟

ويلزم أيضاً على ذلك ان يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو منهي عنه بالاجماع .

يحكي ان شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال : عليّ بالسيف والنطع . قال : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني ، فقصصت رؤيائي على من غيرها ، فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمر معصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك برؤيا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولا معبرك يوسف الصديق عليه السلام ، فبالاحلام الكاذبة تضرب اعناق المؤمنين ؟ فاستحي المهدي ، وقال : اخرج عني . ثم صرفه وابعدده .

وحكى الغزالي عن بعض الأئمة انه اُفتي بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن ، فروجع فيه ، فاستدل بان رجلاً رأى في منامه ابليس قد اجتاز باب المدينة ولم يدخلها ، فقيل : هل دخلتها ؟ فقال : اغتاني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن ، فقام ذلك الرجل فقال : لو اُفتي ابليس بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا ! فقال : قوله في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة .

\*\*

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الراي بالحكم . فلا بد من النظر فيها ايضاً ، لأنه اذا اخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم بما استقر ، وان اخبر بمخالف ، فيحال ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لان الدين لا يتوقف استقراره

(المارج ٤م ١٧) حديث « من رآني في النوم » وتعذريقبن رؤيته ٢٨٥

بعد موته على حصول المرآئي النومية ، لأن ذلك باطل بالاجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : ان رؤياه غير صحيحة . اذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع .

لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من رآني في النوم فقد رآني » وفيه تأويلان : احدهما ما ذكره ابن رشد اذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما تحكم بهذه الشهادة ؟ فانها باطلة . فاجاب بانه لا يحل له ان يترك العمل بتلك الشهادة ، لان ذلك ابطال لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد ، اذ لا يعلم الغيب من ناحيتها الا الانبياء الذين رؤياهم وحي ، ومن سواهم انما رؤياهم جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة .

ثم قال : وليس معنى قوله « من رآني فقد رآني حقاً » ان كل من رأى في منامه انه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل ان الراي قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه الراي على صفة ، وغيره على صفة اخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه ولا صفاته . وانما معنى الحديث « من رآني على صورتي التي خلقت عليها . فقد رآني ، اذ لا يتمثل الشيطان بي » اذ لم يقل : من رأى انه رآني ، فقد رآني . وإنما قال : من رآني فقد رآني . واني لهذا الراي الذي رأى انه رآه على صورته انه رآه عليها ؟ وان ظن انه رآه ، ما لم يعلم ان تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا ما لا طريق لأحد الى معرفته .

فهذا ما نقل عن ابن رشد ، وحاصله يرجع الى ان المرئي قد يكون

## ٢٨٦ حديث « من رآني في النوم » وتندريقين رؤيته (المنار - ج ٤ م ٤١٧)

غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن اعتقد الراثي أنه هو

\*\*\*

والتأويل الثاني يقوله علماء التعبير : أن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الراثي وغيرهم . فيشير له إلى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به . فيوقع اللبس على الراثي بذلك وله علامة عندهم . وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهي غير الموافقين للشرع ، فيظن الراثي أنه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون كذلك ، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى .

وما أخرى <sup>(١)</sup> هذا الضرب أن يكون الأمر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الأول ، حقيق بأن يكون فيه موافقا ، وعند ذلك لا يبقى في المسئلة إشكال . نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم ، لا مكان اختلاط أحد القسمين بالآخر . وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام الاضعيف المنة . نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يبنون عليها أصلاً ، وهو الاعتدال في أخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله اعلم .

### فصل

وقد رأينا أن نختم الكلام في الباب بفصل جمع جملة من الاستدلالات المتقدمة ، وغيرها في معناها ، وفيه من نكت هذا الكتاب جملة أخرى ، فهو مما يحتاج إليه بحسب الوقت والحال ، وإن كان فيه طول ولكنه (١) نص النسخة التي نطبع عنها « اجري » بالهيم وهو غلط

## (المنار- ج ٤ م ١٧) فتوى في كون مستحدثات طرق المتصوفة بدع ٢٨٧

يخدم ما نحن فيه ان شاء الله تعالى .

وذلك انه وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون انهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي يأخذون في الذكر الجمهوري على صوت واحد ، ثم في الغناء والرقص ، الى آخر الليل ، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء ، يرسمون برسم الشيوخ الهداة الى سلوك ذلك الطريق : هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

فوقع الجواب بان ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقة اصحابه والتابعين لهم باحسان ، فنعم الله بذلك من شاء من خلقه .

ثم ان الجواب وصل الى بعض البلدان ، فقامت القيامة على العاملين بتلك البدع ، وخافوا اندراس طريقتهم ، وانقطاع اكلامهم بها ، فارادوا الانتصار لأنفسهم ، بعد أن راموا ذلك بالانتساب الى شيوخ الصوفية الذين ثبتت فضيلتهم ، واشتهرت في الانقطاع الى الله ، والعمل بالسنة طريقتهم ، فلم يستقر لهم الاستدلال ، لكونهم على ضد ما كان عليه القوم ، فانهم كانوا بنواختهم على ثلاثة اصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال ، وا كل الحلال ، واخلاص النية في جميع الاعمال ، وهؤلاء قد خالفوهم في هذه الاصول ، فلا يمكنهم الدخول تحت ترجمتهم وكان من قدر الله ان بعض الناس سأل بعض شيوخ الوقت في مسألة تشبه هذه ، لكن حسن ظاهرها بحيث يكاد باطنها يخفى على غير التأمل . فاجاب عفا الله عنه على مقتضى ظاهرها من غير تعرض الى ما هم عليه من البدع والضلالات ، ولما سمع بعضهم بهذا الجواب ارسل



٢٨٨١ استثناء بموه التعبير عن مستحذات الطرق (النار - ج ١٧٤)

به الى بلدة اخرى ، فأتى به فرحل الى غير بلده ، وشهر في شيعته أن بيده حجة لطريقتهم تقرر كل حجة ، وأنه طالب للمناظرة فيها ، فدعي لذلك فلم يقيم فيه ولا قعد ، غير أنه قال : ان هذه حجتى ، وألقى بالبطاقة التي بخط الحبيب ، وكان هو ومحبيه <sup>(١)</sup> وأشياعه يطايرون بها فرحاً ، فوصات المسئلة الى غرناطة ، وطلب من الجميع النظر فيها . فلم يسمع احد له قوة على النظر فيها الاول <sup>(٢)</sup> أن يظهر وجه الصواب فيها الذي يدان الله به لأنه من النصيحة التي هي الدين القويم ، والصراط المستقيم

ونص خلاصة السؤال : ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة ، يقرؤون جزءاً من القرآن ، ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما امكن في الوقت ، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقديس ، ثم يقوم من بينهم قوال يذكّر شيئاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى من السماع ما توق النفس اليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين ، وذكر آلاء الله ونعمائه ، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية ، والمعاهد النبوية ، فيتواجدون اشتياقاً لذلك ، ثم يأكلون ما حضر من الطعام ، ويحمدون الله تعالى ، ويرددون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبتهلون بالادعية الى الله في صلاح أمورهم ، ويدعون للمسلمين ولائهم ويقرعون .

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ؟ أم ينعون وينكر عليهم ؟ ومن دعاهم من المحبين الى منزله بقصد التبرك ، هل يجيبون دعوته ويجتمعون على

(١) كذا ولعلها « ومحبه » أو « ومحبه » (٢) لفظ الاول لا يظهر له معنى هنا والظاهر ان المقام مقام الاستثناء وان العبارة ربما دخل فيها التحريف والسقط

الوجه المذكور أم لا ؟

فاجاب بما محصوله : مجالس تلاوة القرآن وذكر الله هي رياض الجنة . ثم اتى بالشواهد على طلب ذكر الله . واما الانشادات الشعرية . فانما الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وفي القرآن في شعراء الاسلام ( الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ) وذلك ان حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعبا لما سمعوا قوله تعالى ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) الآيات . بكوا عند سماعها فنزل الاستثناء ، وقد أنشد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورقت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لأبيات اخت النضر ، لما طبع عليه من الرأفة والرحمة .

واما التواجد عند السماع ، فهو في الاصل رقة النفس ، واضطراب القلب ، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن . قال الله تعالى ( الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) أي اضطربت رغبا أو رهبا . وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم ، قال الله تعالى ( لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ) الآية . وقال ( فقرأوا الى الله ) فانما التواجد رقة نفسية ، وهزة تليسية ، ونهضة روحانية . وهذا هو التواجد عن وجد ، ولا يسمع فيه نكير من الشرع . وذكر السلمي انه كان يستدل بهذه الآية على حركة الوجد في وقت السماع . وهي ( وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا ) الآية . وكان يقول : ان القلوب مربوطة بالملكوت ، حركتها انوار الذاكر ، وما يرد عليها من فنون السماع .

... ووراء هذا تواجد لا عن وجد ، فهو مناط الذم ، لمخافة ما ظهر

٢٩٥ مجالس الذكر والقرآن المشروعة وغيرها (التاريخ ٤ م ١٧)

لما بطن . وقد يغرب <sup>(١)</sup> فيه الأمر عند القصد لاستنهاض العزائم ، وأعمال الحركة في يقظة القلب النائم « يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فنبأكوا » <sup>(٢)</sup> ولكن شتان ما بينهما .

— وأما من دعا طائفة إلى منزله فتجابه دعوته ، وله في ذلك قصده ونيته . فهذا ما ظهر تقييده على مقتضى الظاهر ، والله يتولى السرائر ، وأما الأعمال بالنيات . انتهى ما قيده .

فكان مما ظهر لي في هذا الجواب : أن ما ذكره في مجالس الذكر صحيح إذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فإنهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم ، حتى يتعلم بعضهم من بعض ، ويأخذ بعضهم من بعض ، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثاها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الاجتماع على تلاوة كلام الله .

وكذلك الاجتماع على الذكر فإنه اجتماع على ذكر الله . ففي رواية أخرى أنه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة » الحديث المذكور . لا الاجتماع للذكر على صوت واحد ، وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم أن كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس

(١) لعله « يعزب » (٢) لعله أراد حديث « أتلاوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فنبأكوا » فاقبسه بالمعنى ، وهو في سنن ابن ماجه من حديث سعد ابن أبي وقاص بسند جيد



( الماراج ٤ م ١٧ ) مجالس ذكر أهل الطرق وأحوالهم ٢٩١

اليه متعلمون ، أو اجتموا يذكّر بعضهم بمضاً بالعمل بطاعة الله والبعد عن معصيته - وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وعمل به الصحابة والتابعون - فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الاجر ما جاء .

كما يحكى عن ابن ابي ليلى انه سئل عن القصص . فقال : ادركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجلسون ويحدث هذا بما سمع وهذا بما سمع - فاما أن يجلسوا خطيباً فلا - وكان كالذى نراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية . أو تجتمع اليه العامة فيعلمهم امر دينهم ، ويذكرهم بأسه ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها ، ويتجنبوا مواطنها والعمل بها .

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرّمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا انهم سلكوا طريق التصوف - وقلّ ما نجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة الا على اللحن ، فضلاً عن غيرها ، ولا يعرف كيف يتعبد ، ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرّموا مجالس الذكر التي تنشأها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟ فبانطاس هذا النور عنهم ضلوا ، فاقتدوا بجهال امثالهم ، واخذوا يقرؤن الاحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم ، لا على ما قال أهل العلم فيها . فخرجوا عن الصراط المستقيم ، الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المنموم ، ثم يقولون



## ٢٩٢ ذكر أهل الطريق مخالف لذكر السلف المشروع (التأريج: ١٧م٤)

تعالوا نذكر الله . فيرفعون أصواتهم يشنون ذلك الذكر مداولة ، طائفة في جهة ، وطائفة في جهة أخرى ، على صوت واحد يشبه الغناء ، ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب إليها ، وكذبوا . فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح اولى بادراكه وفهمه والعمل به ، والا فأن في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ؟ وقد قال تعالى ( ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين ) والمعتدون في التفسير هم الرافضون أصواتهم بالدعاء

وعن ابي موسى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أربعوا على أنفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، انكم تدعون سميماً قريباً ، وهو معكم » وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ، ولم يكونوا رضي الله عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنه نهى عن رفع الصوت ليكونوا للآية ممثلين . وقد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر ، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون . وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ، وهي الربط التي يسمونها بالصفة . ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله .

فالخاص من هؤلاء انهم حسنوا الظن بأنهم فيما هم عليه مصيبون ، واسأوا الظن بالسلف الصالح اهل العمل الراجح الصريح ، واهل الدين الصحيح . ثم لما طالبهم لسان الحال بالحجة اخذوا كلام المحجب بهم لا يعلمون ، وقولوه ما لا يرضى به العلماء ، وقد بين ذلك في كلام آخر اذ سئل عن ذكر فقراء زماننا ، فاجاب بان مجالس الذكر المذكورة في الاحاديث انها

(المراجع ٤ م ١٧) اختلاف القتي اختلاف عبارة السؤال ٢٩٣

هي التي بتلى<sup>(١)</sup> فيها القرآن ، والتي يُتلى فيها العلم والدين ، والتي تفرح بالعلم والتذكير بالآخرة والجنة والنار . كجالس سفیان الثوري والحسن وابن سيرين ، واضرابهم .

اما مجالس الذكر اللساني فقد صرح بها في حديث الملائكة السياحين ، لكن لم يذكر فيه جهراً بالكلمات ، ولا رفع اصوات ، وكذلك غيره . لكن الاصل المشروع اعلان الفرائض واخفاء النوافل ، واتى بالآية وبقوله تعالى ( اذ نادى ربه نداء خفياً ) وبحديث « اربعوا على انفسكم » - قال - : وقفراء الوقت قد تخيروا بآيات ، وتميزوا باصوات ، هي الى الاعتداء ، اقرب منها الى الاقتداء ، وطريقتهم الى اتخاذها مأكلة وصناعة ، اقرب منها الى اعتدادها قرينة وطاعة .

انتهى معناه على اختصار اكثر الشواهد . وهي دليل على ان فتواه المحتج بها ليس معناها ما رام هؤلاء المبتدعة . فانه سئل في هذه عن فقراء الوقت ، فاجاب بدمهم ، وان حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناول عمائمهم . وفي الاولى انما سئل عن قوم يجتمعون لقراءة القرآن ، أو لذكر الله . وهذا السؤال يصدق عن قوم يجتمعون مثلاً في المسجد فيذكرون الله ، كل واحد منهم في نفسه أو يتلو القرآن نفسه ، كما يصدق على مجالس المعلمين والمتعلمين ، وما اشبه ذلك مما تقدم التنبيه عليه ، فلا يسمعه وغيره من العلماء الا ان يذكر محاسن ذلك والثواب عليه ، فلما سئل عن اهل البدع في الذكر والتلاوة بين ما ينبغي أن يعتمد عليه الموفق ، ولا توفيق الا بالله المولى العظيم . اه المراد منه

(١) في الاصل « بختلا » هكذا ، فصحتها ناسخ الورق الذي نطبع عنه فجعلها « بختلى » وكلاهما غلط

فصل<sup>\*</sup>

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين (منزلة التوكل)

قال الله تعالى ( وتوكل على الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال عن اوليائه - ربنا عليك توكلنا وابليك انبنا وابليك المصير - وقال - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا - وقال ارسوا - فتوكل على الله الملك على الحق المبين - وقال - وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا - وقال - وتوكل على الحي الذي لا يموت وبهج بهجده - وقال - فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين - قال عن ابياته ورسوله - وما لنا ألا نتوكل على الله ؟ (١) الآية - وقال عن اصحاب ثيبه - ان الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا واثابهم الله ونعم الوكيل - وقال - انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، ما تاتيهم آياته زادتهم ايمانا وتوكلوا على الله والقرآن مملوء من ذلك وفي الصحيحين في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطهرون ، ولا يكتفون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القي في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ( ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ) وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وابليك انبت ، وبك خاصمت ، اللهم اعوذ بعزتك ، لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي الذي لا تموت ، والجن والانس يموتون » وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه « فوعا » او انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خفاصا وتروح بطانا » وفي السنن عن انس رضي الله عنه

« في رزق من الجزء الثاني من كتاب (مدارج السالكين . بين منازل « اياك نعبد وإياك نستعين » لابن القيم (١) زاد في البصائر من الآية قوله تعالى « وقد هدانا سبلنا »



## (المنار- ج ٤ م ١٧) سمة منزلة التوكل وأصناف المتوكلين والتوكل فيه ٢٩٥

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال - يعني اذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ، ولا حول (١) ولا قوة الا بالله ، يقال له : هديت ووقيت (٢) وكفيت ، فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل هدي وكفي ووقي ؟ »

التوكل نصف الدين ، ونصفه الثاني الاقامة ، فان الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستعانة ، والاقامة هي العبادة ، ومنزلة أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معصومة بالنازلين لسمة متعلق التوكل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والابرار والفجار ، والطير والوحش والبهائم ، فأهل السموات والارض - المكافون وغيرهم - في مقام التوكل ، وان تباين متعلق وكلهم . فاولياؤه وخاصة يتوكلون عليه في حصول مايرضيه منهم ، وفي اقامته في الخلق ، فيتوكلون عليه في الايمان ونصرة دينه ، واعلاء كلمته ، وجهاد اعدائه ، وفي محابه وتنفيذ أوامره . ( ودون هؤلاء ) من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس . ( ودون هؤلاء ) من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق او عافية أو نصر على عدو او زوجة أو ولد ، ونحو ذلك . ( ودون هؤلاء ) من يتوكل عليه في حصول الاثم والفواحش . فان اصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبا الا باستعانتهم بالله ، وتوكلهم عليه ، بل قد يكون توكلهم (٣) أقوى من توكل كثير من اصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهلك معتمدين على الله ان يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم ، فافضل التوكل في الواجب (اعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس) ، واوسعها وانفعها التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، أو في دفع مفسدة دينية ، وهو توكل الانبياء في اقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الارض ، وهذا توكل ورثتهم .

ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم ، فمن متوكل على الله في حصول الملك ، ومتوكل في حصول رغيف . ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ، فان كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه العاقبة المحمودة ، وان كان

(١) في نسخة « ولا حول » وفي البغدادية سقط الواو (٢) وفيها « وكفيت ووقيت »

(٣) في الحجازية « توكلهم عليه »



مسخوطا مبنوفا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه ، وإن كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه ، إن لم يستعن به على طاعة (١) والله أعلم .

### فصل

فلنذكر معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه .

قال الامام احمد : التوكل عمل القلب . ومعنى ذلك انه عمل قلبي ليس بقول اللسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والادراكات . ( ومن ) الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو تلم القلب بكفاية الرب للعبد . ( ومنهم ) من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب . فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، كانطراح الميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف يشاء ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الاقدار . قال سهل : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد . ( ومنهم ) من يفسره بالرضا . فيقول : هو الرضاء بالماقدور . قال بشر الحافي : يقول احدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله ، او توكل على الله رضي بما فعل الله . ومثل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال اذا رضي بالله وكلا ( ومنهم ) من يفسره بالثقة بالله ، والطمأنينة اليه والسكون اليه . قال ابن عطاء : التوكل ان لا يظهر فيك نزاع الى الاسباب مع شدة فافتك اليها ، ولا تزال (٢) على حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها . وقال ذو النون : هو ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه . وقال بعضهم : التوكل التعلق بالله في كل حال . وقيل : التوكل ان ترد عليك موارد الفاقات ، فلا تسو الا الى من اليه الكفايات . وقيل : نفي الشكوك ، والتفويض الى مالك الملوكة . وقال ذو النون : خلع الارباب ، وقطع الاسباب — يريد قطعها من تعلق القلب بها ، لا من ملازمة الجوارح لها .

( ومنهم ) من جملة من كتب من امرين او امور . فقال ابو سعيد الخزاز :

(١) في البغدادية طاعته {٢} في البغدادية - ولا نزول

## (المناجج ٤ م ١٧) التوكل لا ينافي الأسباب بل لا يصح إلا معها ٢٩٧

التوكل اضطراب بلاسكون ، وسكون بلا اضطراب ، — يريد حركة ذاته في الأسباب بالظاهر والباطن — وسكون إلى المسبب وركون إليه ، ولا يضطرب قلبه معه ، ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه . وقال أبو تراب النخشي : هو طرح البدن في العبودية ، وتماق القلب بالربوبية ، والعلمانية إلى الكفاية . فإن أعطي شكر ، وإن منع صبر . فجعله مركبا من خمسة أمور : اقيام بهركات العبودية ، وتماق القلب تدبير الرب ، وسكونه إلى قضائه وقدره ، وطمانينته بكفايته له ، وشكره إذا أعطى ، وصبره إذا منع . قال أبو يعقوب النهرجوري : التوكل على الله بكمال الحقيقة كما وتمع لأبراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام «أما إليك فلا» لأنه غائب عن نفسه بالله (١) فلم ير مع الله غير الله .

واجمع أقوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع اقيام بها . وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد . قال سهل بن عبد الله : من طمن في الحركة فقد طمن في السعة ، ومن طمن في التوكل فقد طمن في لا يئس ، فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سته ، فمن عمل على حاله فلا يترك سته . وهذا معنى قول أبي سعيد «هو اضطراب بلاسكون، وسكون بلا اضطراب» وقول سهل ابن وارف . وقيل : التوكل قطع علائق القلب بغير الله . وسئل سهل عن التوكل فقال : قلب عاش مع الله بلا علاقة . (٢) وقيل : التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق . وقيل : التوكل أن يستوي عندك الأكثار والاقلال . وهذا من موجباته وآثاره ، لأنه (٣) حقيقة . وقيل : هو ترك كل سبب يوصلك إلى مسبب ، حتى يكون الحق هو المتولي لذلك . وهذا صحيح من وجه ، باطل من وجه ، فترك الأسباب المأمور بها قاذح في التوكل ، وقد تولى الحق إيصال العبد بها . وأما ترك الأسباب المباحة ، فإن تركها لما هو أرجح منها . مصاحف مدوح ، وإلا فهو

(١) في البندادية — لأنه علق نفسه بالله — (٢) هاتان الفقرتان سقطتا من نسخة فأتتاها من البندادية (٣) وفيها — لا أنه —

## ٢٩٨ حقيقة التوكل وشرح ما يتوكل منه ودرجاته (المنار-ج ٤ ص ١٧م)

مذموم . وقيل : هو إلقاء النفس في العبودية ، وإخراجها من الربوبية . يريد استرسالها مع الامر ، وبرأتها من حولها وقوتها ، وشهود ذلك بها ، بل بالرب وحده . ( ومنهم ) من قال : التوكل هو التسليم لامر الرب وقضائه ( ومنهم ) من قال : هو التفويض اليه في كل حال .

( ومنهم ) من جعل التوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . قال ابو علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات — التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالتوكل يسكن الى وعده ، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . فالتوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية فالتوكل صفة المؤمن ، والتسليم صفة الاولياء ، والتفويض صفة الموحدين . التوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخوارج ، والتفويض صفة الخاصة . التوكل صفة الانبياء ، والتسليم صفة ابراهيم الخليل ، والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين . هذا كله كلام الدقاق . ومعنى هذا التوكل اعتماد على الوكيل ، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح عليه ، واردة وشائبة منازعة ، فاذا سلم اليه زال عنه ذلك ، ورضي بما يفعله وكيله . وحال المفوض فرق هذا ، فانه طالب يريد ممن فوض اليه ، ملتزم منه ان يتولى أموره ، فهو رضا واختيار ، وتسليم واعتماد ، فالتوكل يندرج في التسليم . وهو التسليم بندرجان في التفويض ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

### فصل

وحقيقة الامر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل الا بها . وكل اشار الى واحد من هذه الامور ، او اثنين او اكثر . فأول ذلك معرفة بالرب وصفاته ، من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الامور الى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته . وهذه المعرفة اول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل . قال شيخنا رضي الله عنه : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ، ولا من القدريّة النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء (١) ولا

(١) في البداية « ما لم يشاء »



## (الزاج - ج ٤ م ١٧) حقيقة التوكل وشرح ما يترك منه وذراته ٢٩٩

يستقيم أيضا من الجمجمة النفاة لصفات الرب جل جلاله ، ولا يستقيم التوكل الا من اهل الاثبات . فأني توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم ؟ ولا هو فاعل باختياره ؟ ولا له ارادة ومشية ؟ ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم واعرف ، كان توكله اصح واقوى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

### فصل

(الدرجة الثانية اثبات في الاسباب والمسببات) فان من نفاها فتوكله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي ان الاسباب يقدح في التوكل ، وأن نفيها كمال (١) التوكل

فان لم ان نفاة الاسباب لا يستقيم لم توكل البتة ، لان التوكل من اقوى الاسباب في حصول التوكل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به فاذا اعتقد العبد ان توكله لم ينصبه الله سببا ، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء ، فان التوكل فيه المدعو بحصوله ان كان قدر (٢) حصل توكل او لم يتوكل ، دعا او لم يدع . وان لم يقدر لم يحصل ، توكل ايضا او ترك التوكل . وصرح هؤلاء ان التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لهما الا ذلك ، ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته (٣) شيء مما قدر له . ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بعدم المأخذة على الخطأ والنسيان عديم الفائدة ، اذ هو مضمون الحصول.

ورأيت بعض متعمقي هؤلاء في كتاب له (٤) لا يجوز الدعاء بهذا ، وإنما يجزئه تلاوة لا دعاء . قال — لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك — شك في خبر الله ، فانظر الى ما قاد انكار الاسباب من العظام ، وتحريم الدعاء بما أثنى الله على عباده وأوليائه بالدعاء

(١) نص لسختنا - كلام التوكل - وكلام محرف عن كمال بالقلب ، كما هو نص الحجازية ، والبغدادية « تمام التوكل » (٢) في البغدادية « قد قدر » (٣) لسختنا والحجازية « ما فاته » والبغدادية « ما فاته » (٤) نص الحجازية « في كتاب لا » وسقط من البغدادية كلمة « له »



## ٣٠٠ تحقيق كون التوكل بالأسباب ومنها ( المنار ج ٤ م ١٧ )

به وبطلبه ، ولم ينزل المسلمون من عهد نبهم صلى الله عليه وسلم الى الآن يدعون به في مقامات الدعاء ، وهو من أفضل الدعوات .

وجواب هذا الوهم الباطل ان يقال : بقي قسم ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكروه ، وهو الواقع . وهو ان يكون قضي بمحصل الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء ، فنصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب ، وقضى الله بمحصله اذا فعل العبد سببه ، فاذا لم يأت بالسبب امتنع السبب . وهذا كما قضي بمحصل الولد اذ جامع الرجل من يجلها ، فاذا لم يجمع لم يخلق منه الولد . وقضى بمحصل الشبع اذا أكل ، والري اذا شرب ، فاذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو . وقضى بمحصل الحج والوصول الى مكة اذا سافر وركب الطريق ، فاذا حبس (١) في بيته لم يصل الى مكة (١) وقضى بدخول الجنة اذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة ، فاذا ترك الإسلام لم يدخلها أبدا (٢) وقضى بانصاج الطعام بإيقاد النار تحته . وقضى بطولع الجبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذر فيها ، فما لم يأت (٣) بذلك لم يحصل الاغذية . فوزان ما قاله منكرو الأسباب ان يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ، ويقول : ان كان قضي لي وسبق في الازل حصول الولد والشبع والري والحج ونحوها ، فلا بد ان يصل ، ان تحركت أو سكنت ، تزوجت أو تركت ، سافرت أو قدمت ، وان لم يكن قضي لي لم يحصل لي ابضا ، فملت أو تركت . فهل بعد أحد هذا من جملة العقلاء ؟ وهل البهائم الا الله منه ؟ فان البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة . فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ، ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من نأم التوكل عدم الركون الى الأسباب ، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها . فلا أسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق برؤيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب الا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل الا على قدم العبودية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

( ١ ) في البندادية « فاذا جلس في بيته لم يصل الى مكة أبدا » ( ٢ ) حذف من البندادية لفظ « أبدا » ( ٣ ) نص البندادية فان لم « يأت »

### فصل

الدرجة الثالثة (رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل) (١) فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح 'توحيده' ، بل حقيقة التوكل توحيد القلب ، فمادامت فيه علائق الشرك فتوكله ملول مدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، فإن العبد متى التفت الى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه ، فتمس من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ، ومن هاهنا ظن من ظن ان التوكل لا يصح الا برفض الاسباب ، وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لاغن الجوارح ، فتوكل لايم الا برفض الاسباب عن القلب ، وتعلق الجوارح بها ، فيكون منقطعاً منها متصلاً بها . والله سبحانه أعلم .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة الرابعة (اعتماد القلب على الله ، واستناده اليه ، وسكونه اليه) بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الاسباب ، ولا سكون اليها ، بل يخضع السكون اليها من قلبه ، ويلبسه السكون الى مسببها ، وعلى هذا (٢) انه لا يلبى باقبالها وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها واقبال ما يكره ، لان اعتماده على الله وسكونه اليه واستناده اليه ، قد حصنه من خوفها ورجائها ، فحال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به ، فرأى حصناً مفتوحاً فأدخله ربه اليه ، وأغلق عليه باب الحصن ، فهو بشاهد عدوه خارج الحصن ، فاضطراب قلبه وخوفه منهم في هذه الحال لا معنى له . وكذلك من أعطاه ملك درهما فسرق منه ، فقال له الملك : عندي اضعافه لاتهم متى جئت لي أعطيتك من خزائني اضعافه . فاذا علم صحة قول الملك ووثق به واطمأن اليه ، وعلم ان خزائنه مليئة بذلك - لم يحزنه فوته . وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بشدي أمه لا يعرف

(١) نسختنا والحجازية « توحيد التوكل » وسقط من البغدادية كلمة « توحيد »

(٢) نسختنا والحجازية « الى مسببها وعلى هذا » وفي البغدادية « الى مسببها »

وعلاوة هذا »

## ٣٠٢ درجات حسن الظن والاستسلام والتفويض في التوكل (المزاج ٤ ص ٧)

غيره ، وليس في قلبه التفات الى غيره ، كما قل بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي اليه الا ندي أمه ، كذلك المتوكل لا يأوي الا الى ربه سبحانه .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة الخامسة (حسن الظن بالله عز وجل) فلي قدر حسن ظلك بربك (١) ورجائك له يكون توكلك عليه . ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن فقال : التوكل حسن الظن بالله . والتحقيق ان حسن الظن به يدعو الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء (٢) ظلك به ، ولا التوكل على من لا نرجوه ، والله أعلم .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة السادسة (استسلام القلب له ، وانجذاب دواعيه كلها اليه ، وقطع منازعاته) وبهذا فسر من قال : ان يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الفاسل يقبله كيف أراد ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وهذا معنى قول بعضهم : التوكل اسقاط التدبير . يعني الاستسلام لتدبير الرب لك . وهذا في غير باب الامر والنهي . بل فيما يفعله بك لا فيما أمرك بفعله . فلا استسلام كاستسلام العبد الذليل نفسه لسيده واتباعه له ، وترك منازعات نفسه وارادتها مع سيده . والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة السابعة (التفويض) وهو روح التوكل وابه وحقيقته ، وهو إلقاء اموره كلها الى الله ، وانزالها به طلباً واختياراً ، لا كرها واضطراراً ، بل كتفويض ابن العاجز الضعيف المغلوب أموره (٣) الى ابيه العالم بشقيقته عليه ورحمته ، وتام كفايته ، وحسن ولايته له ، وتدبيره له ، فهو يرى ان تدبيره له خير من تدبيره لنفسه ، وقيامه بمصالحه وتوليها ، خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليها ، فلا يجده أصلح ولا أوفق من تفويضه أموره كلها الى ابيه ، وراحته من حمل كلفها (٤) رثقل حملها ، مع عجزه عنها ، وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال علم من فوض اليه وقدرته وشقيقته .

(١) في البعدادية « به (٢) في البعدادية « على من تسيء » (٣) كذا في نسخة وفي البعدادية ، وفي الحجازية قبل كلمة « اموده خربوشة يوشك ان يكون اصلاً » في « او » فتكون العبارة « المغلوب على اموره » وهي الصواب (٤) في البعدادية « كلها »



(المنار-ج ١٧م ٤) افضل الوسائل لانتقاد الدولة-رأي المرحوم فتحي زغلول ٣٠٣

## افضل الوسائل

### لانهاض السلطنة

﴿ فصل جليل ختم به كتاب تاريخ الحرب البلقانية للبستاني ﴾

خطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، أن نستسلم آراء نخبة من أكابر العلماء وخول الكتاب ، عن أفضل وسيلة تهض بالسلطنة بعد كبتها ، وتزيد في بقضة الامة بعد غفوتها . فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه قيل صدور هذا المؤلف أن يصوغ لنا فكرته الاساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتليسة الطلب ، أدامهم الله زهرا نصيرا في بستان العلم والادب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها

( رأي سياسي شهير )

كتب الي عالم كبير لم يشأ أن ينشر اسمه قال « ان الامر عويص جدا لان في السلطنة فواعل كثيرة متناقضة وبعضها خفي . ولقد سمعت مرة المرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق يقول ان لورد دربي ألقى عليه سؤالاً مثل سؤالك وطلب منه أنت يرئأي رأيا أو يضع مشروعا نافعا للسلطنة العثمانية ، قال نوبار : فأخذت القلم وكتبت « أن ينشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع اليها الشكاوي من المأمورين قضاها حكمهم وتنفذ الحكومة ما تحكم به عليهم »  
فأدق هذا الانتقاد ، وما أرق هذا التهكم ! ...

( رأي القانوني الكبير ، والعالم الاجتماعي الشهير )

سماعة فتحي باشا زغلول

أقرئك السلام وبعد فسؤلك هام ومطلبك أهم

الدولة العلية رعاك الله مجموع محتاج في سياسته وانهاضه الى حكمة عالية وبهر بالأدور كبير ، فاذا غلب الرأي الهوى ، وبطل التفاضل بين العناصر ، وأقيم وزن العدل وتساوي الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات ... واذا خلعت نيات اهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضلوا مصالح الامة على المنافع الفردية ، وجدد الكلكل في طلب الاصلاح ، فنشروا التعليم وغنوا بالأموال الاقتصادية ، فاستبقوا لأنفسهم مرافق



٣٠٤ رأي فارس افندي نمر واسماعيل باشا صبري (النار - ج ١٧٠٤)

البلاد وكنوزها ، وذلوا السبل وأمنوا السابلة وقربوا المسافات ، ثم ازدرعوا واحترفوا  
وتجروا فأحرفوا ، وإذا احكموا نظام الجند وهذبوه - لاشك أن الدولة ناهضة من  
سقطتها ، وإن الأمة ناشطة من عقابها ، وأنها نائلة من الحضارة والفائدة مكانا عليا

( رأي العالم العامل الشهير ، والصحافي المخك الخبير )

الدكتور فارس افندي نمر

صاحب المقتطف والمفهم

حضرة الفضل ! ان كان المقصود من « الساطنة » في سؤالكم « الحكومة  
والامة » في حالتها الحاضرة أي الدستورية فوسائط انماضها متعددة منها مادي  
ومنها أدبي ولكل واسطة منها قوة لا يُستثنى عنها ، وخصوصاً وسائط العلم والمال .  
على أن في الحكومة وفي الامة رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يوزهم ادراك  
ولا يسار ، ولكن الذي ينقصنا هو تربية الحكومة على الاخلاق القويمة ، والصفات  
المنظمة والمرقية لشؤون الهيئة الاحتمائية ، حتى نستطيع الاتحاد والتعاون على تدير  
أمرنا وإنجاح أعمالنا ونحن جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدير أمورهم  
وإنجاح أعمالهم وهم أفراد .

( رأي شيخ الادباء ، وكبير الشعراء )

( سعادة اسماعيل صبري باشا )

التوظيف - إذا أراد التركي أن يستبقي ما بقي له من ملكه فلا يفرق بين التركي  
وسائر الاجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية ، بل يجب عليه أن يفضل في التوظيف  
في كل بلد أهل الكفاءة من بينها ، فلا يوظف التركي في بلد غير بلده الاصللي الا  
إذا كان يتصر وجود أكفاء مثله من أبناء ذلك البلد ، فتعود جميع العناصر التي تتألف  
منها الدولة حب الراية التي تظلمهم ، والاراضي التي تظلمهم ، فيقوم عندئذ وطن عثماني حقيقي  
يحبونه ويذوبون عنه في اليوم المصيب .

التعليم - التعليم من أوجب الواجبات لنهوض الشعب العثماني مما هو فيه ، ولا  
يراد بالتعليم ان يصبح جميع الافراد من العلماء ، بل يكفي أن يكون هناك عدد وافر  
من المعلمين يسرون بالدولة الى مقام الشعوب الراقية ، وأن يتعلم باقي أفراد الامة  
ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم .

العدل - العدل بسيط في معناه صعب في تنفيذه بين الافراد . وأكبر آفاته

## ( المار-ج ٤١٧م ) رأي الدكتور شميل وابو شادي بك ٣٠٥

الغرض والرشوة . فإذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فلتصرف كل جهدها في ملائمة هاتين الآفتين ، ولتحذر من أن تستعين بالأجانب في سن قوانينها وتوزيع العدل بين رعاياها ، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لأقامة العدل وسن القوانين . والا تعذر عليها أن تجد عدلاً وطنياً متفقاً مع أخلاق أممها وعاداتها . وما يقال في العدل يقال أيضاً في سائر فروع الإدارة . وإذا كانت الحكومة لا تجد مندوحة عن الاستئانة بالأجانب الا كفاء فلا تطلبهم من حكوماتهم ، بل تكلفهم وضع التقارير بعد اختبارهم لحالة البلاد ، ثم تأخذ النافع والموافق لعادات الأهالي من تلك التقارير دون أن تحمل أصحابها موظفين رسميين

( رأي العالم الاجتماعي الشهير )

الدكتور شبلي الشميل

الدولة لا تنهض الا بثلاثة : رجال ومنل ووقت ، والرجال بالعلم والتربية ، والمال بالموارد . فهل ذلك متوفر ، ولاسيما الوقت ، وحالنا في الاجتماع كما هي من قلة السكان ، مع ما هو عليه اليوم من شدة التزعزع ؟ والحواب على ذلك يدل على المصير ( رأي الاستاذ الفاضل الشهير )

ابو شادي بك

رئيس تحرير جريدة المؤيد

رأي أن الدولة لا تنهض من سقطتها ولا تعود الى سابق مجدها الا اذا توفر لها ما يأتي

أولاً : تميم التعليم في أنحاء البلاد وجعل الأولي منه اجبارياً  
ثانياً : ازالة التنافر بين العناصر ولا يكون ذلك الا بمنح كل ولاية استقلالاً  
ادارياً داخلياً حق يعلم كل فرد ان اجتهاده منصرف الى بلده  
والى نفسه .

ثالثاً : ايجاد الكفاء من الموظفين اذ غير شك ان قوانين الدولة عادلة  
ولكن تنفيذها معدوم .

رابعاً : اصلاح جباية الضرائب بحيث تكون الضرائب متسلطة على الاعيان  
لا على الحاصلات وتقسيم أوقات تحصيلها .

( المار-ج ٤ ) ( ٣٩ ) ( المجلد السابع عشر )

٣٠٦ رأي رشيد رضا وداود افندي بركات (المنار - ج ٤ م ١٧)

خامساً نزع السياسة من افكار الجيش  
سادساً تجمع اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع اخص  
وذلك لان مظهر الدولة اسلامي والقرآن عربي  
( رأي العالم الاسلامي الكبير )

السيد رشيد رضا

منتى مجلة المنار

الدولة كائن حي، يُحفظ وجودها بالسنة التي تحفظ بها حياة سائر الاحياء، وهي سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يمدو عليه من الخارج  
فأما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه فانما يكون باقامة الشرع المادل في القضاية، والمساواة في الحقوق بين الرعية، وبناء ادارة المملكة على أساس اللامركزية، وجعل السلطة العليا شق الأبلمة بين العنصرين الكبيرين فيها - العرب وانترك - بحيث يكونان منها كالعنصرين اللذين يتكون منهما المساء أو الهواء . واما وقايتها مما يمدو عليها من الخارج فهو الآن منوط بدول أوربة الكبرى فهن اصحاب المطامع فيها ومطامعهن متعارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنة على نفسها من اقتسامهن اياها بالقوة ، فيجب ان تبقى استيلاءهن على البلاد بقوة المال والسياسة ، أي بالفتح السلمي ، وان تقوي مزاج الامة بالعدل والعلم واعدادها للدفاع عن نفسها . فاذا هي فرطت في مراقبتها وأملأها فباعتها للأوربيين ، وبقيت على تبذيرها ، وتوهمها انها تستطيع ان تحمي نفسها منهن بقوة الدولة البرية والبحرية الرسميتين ، ولم تجعل كل اعتمدها على الامة ، فالخطر عليها من الفتح السلمي ، أقرب واغوى من خطر الفتح الحربي .

( رأي الكاتب التحرير الشريف )

داود افندي بركات

رئيس تحرير الاهرام

وأني في اصلاح السلطنة العثمانية ان تقسم مناطق، وان تكون كل منطقة مؤلفة من العناصر المتفقة في التقاليد - العادات واللغة ، فتعطى الاستقلال الاداري تحت من أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة . ويعين لكل منطقة



مندوب سام يماونه مجلس إدارة بؤاف من الفنين في الامور المالية والادارية  
والقضائية والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة ،  
وتلغى الضرائب العشرية ، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين  
للشركات على اختلاف انواعها ، ويوحد القضاء فلا يكون من اختصاص رجال  
الدين الا الامور الشخصية . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة او مناطق متحدة .  
ذلك رأيي في انهاض السلطنة بسرعة

( رأي العالم المؤرخ )

جرجي بك زيدان

صاحب مجلة الهلال

الاملة الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم نقر المملكة واضطراب الحكومة .  
والحكومة الدستورية في ابدى الامة ، والامة العثمانية ضعيفة الاحلاق ، عريقة  
في الانقسام ، بسبب ما توالى عليها من أعصر الفساد .  
أما المملكة ونعني الولايات الباقية منها في آسيا فليس نقرها اصليا فيها ، وكل ولاية  
منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها ، فالعراق كانت وحدها مملكة البابليين  
والاشوريين ، وبها اعترى العباسيون في ائبان دولتهم ، وكانت جبايتها ثلث جباية مملكتهم  
الواسعة الممتدة من حدود الهند الى شواطئ الاتلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفة  
من عدة دول ثم اعترى بها السلوقيون احيالا ، وكذلك آسيا الصغرى ، وظلت مدة هي  
اعظم اركان الدولة العثمانية .

فهذه الولايات اذا احسنت سياستها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتم والامة  
كما تقدم . فالوسيلة المثلى للنهوض بالدولة العثمانية انما هي ترقية الشعب ، وهو لا يقدر  
ان يرقى نفسه رغم استعداده الطبيعي للرقى . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ،  
انما يشترط أن يكون مستبدا ، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية . فلا بد من  
الاستعانة بالاجانب ، وأسلم الطرق أن تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثق بصداقتها ،  
فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول  
الاخرى ، بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار . فاذا وفقت الى ذلك  
في اثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها ؛

## ٣٠٨ رأي الأفندي خليل مطران ومحمد مسعود وسامي قصيري (المترج ١٧٤٤)

( رأي الشاعر الكاتب الطائر الصيت )

خليل افندي مطران

أخي — سألتني عما أرتنيه لاصلاح الدولة العلية . فالذي أرتنيه انما هو أمر واحد يلخص في كلمة واحدة : التعليم

منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة واستقري ما يجري فيها . فالذي بدا لي من شأنها في كل حال : ان الحكم كانوا لا يهتمون باصلاحها اعتماداً منهم على جهل الامة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل . وان الحكوميين كانوا فاقدي الحيلة في التماس ما هو خير لهم وكاوا صابرين على مضر . وربما أومض لهم بارق الاصلاح في احدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجئ .

فهؤلاء الحكوميون ما لم يتعلموا لا يقيمون لانفسهم وزناً ولا يفرقون بين حق لهم وحق عليهم . كما أن أولئك الحكم أيا كان جنسهم ودينهم يلبثون أبد الدهر متكررين لامتهم جانين عليها ، الا حيث تضطرهم الى الاصلاح اضطراراً ، وتأخذ منهم قمراً ما يابونه عليها اختياراً . وكل ذلك لا يتم شيء منه الا بالتعليم .

( رأي الكاتب الشهير )

محمد افندي مسعود

حياة الدولة في مستقبلها . ومستقبلها في حكومة كفيلة باسترجاع مجدها المضيء ، وهذه الحكومة لا توجد ، الا متى عرف رجالها قدر انفسهم . فوضعوها فوق عبث الاحزاب .

( رأي الصحافي الحبير والكاتب الالهي )

سامي افندي قصيري

المحرر في المقطم

لما كانت الدولة العثمانية فيما مضى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفرد كانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضمف بضعفه وتتمد بسمده وتشقى بشقائه . أما الآن وقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لحوال الزمان والمكان وتبدلت

(المنار - ج ١٧م ٤) رأي فرح افندي انطون ٣٠٩

حكومة الفرد بحكومة الامة ، فصلاح الحكومة قائم بصلاح الامة . ولا يكون ذلك في رأيي الا بنشر التعليم الحر بين طبقاتها ، والفصل بين دنيائها ودينها ، والتأليف بين عناصرها وطوائفها ، حتى تصبح جميعها كتلة واحدة يحررها من أغلالها الى أسفلها حامل واحد ، هو عامل الوطنية ، وتجميعها من أقصاها الى أدناها جامعة واحدة هي الجامعة العثمانية .

( رأي الكاتب الشهير )

فرح افندي انطون

صاحب مجلة الجامعة

ان سنة التطور (evolution) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعي أمر لا مفر منه . فما السبيل الى جعل التطور في السلطنة لها لانها ؟ لا أظن أن صديقتي المؤلف يكلفني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر . على ان كل ما يقوله الكاتب ويفكر فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم ، فما تنقصنا الاقوال ولكن تنقصنا الافعال . فقد يقال « العدل والسواء وتوسيع سلطة الولايات وقطاع دابر الرشوة بحسن اختيار الموظفين وشدة مراقبتهم واصلاح المحاكم وتنظيم البوليس وتقويته وانشاء الطرق الحديدية واستثمار الارض ظهرها وبطنها ( الزراعة والمعادن ) واحياء الصناعة والتجارة والمستشارون الاجانب وتنظيف الدوائر العليا والدنيا الخ الخ » وكلها اشياء جميلة . ولكنني ارى امرا آخر مقدماً عليها وان وجد المال وقوة الارادة لانقاذها وهو ما أسميه « الانسلاخ » أعني به انسلاخ الرجل الشرقي القديم - وكلنا ذلك الرجل - من جلده القديم وروحه القديمة واتخاذ جلداً جديداً وروحاً جديدة . ومعنى هذا بكلام مجرد من الزخرف والخيال تفسير السياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيقيةست (positiviste) وهنا المشكلة العظمى . فانه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه السياسة من غير أن يصدم هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها ، أي سوق التطور في طريق هذه السياسة من غير ان يؤدي الى كسر في أعضائها . ورأس سياسة الوزيقيةست أن يفصل الدين عن السياسة الدنيوية عند جميع العناصر العثمانية . وبعد هذا الفصل يمكن الاتجاه الى موحدة الامة وبانية اساس مستقبلها أعني بها المدرسة الابتدائية الالزامية - واحدة لجميع أبناء الامة ، ويمزج عن المذاهب الدينية لتوحيد اغراض الامة واهوائها ما أمكن التوحيد ، وجعلها أمة واحدة لا أثماً مختلفة كما هي الآن .



٣١٠ رأي البكوات عزير خانكي واسكندر عمون ونجيب البستاني (المنار ج ١٧م ١٧)

( رأي الاستاذ القانوني الشهير )

عزير خانكي بك

يجب ان تبدأ الدولة باعطاء ولايتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تحمل الصلة بينها وبين ولايتها كالصلة بين ممالك المانيا والامبراطورية، أو كالصلة بين الولايات المتحدة الاميركية والجمهورية، ثم تعاون جميع الولايات على تكوين قوة الدولة البرية والبحرية بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها

هنا من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعها . أما رقي الولايات فلا أمل فيه الا بانشاء المحاكم، ووضع القوانين النظامية على الطريقة المصرية، واقامت المدارس، ومد السكك الحديدية، وتوطيد اركان الامن العام، واجراء الاصلاحات العامة اللازمة لكل بلد مثل انشاء السكك الزراعية، وبناء القناطر للري، وتسهيل للمواصلات البرية والبحرية، وتعميم بعض المنظمات الغربية، مثل انتفاخرافات والتلفونات وتنظيم البريد داخل الولايات، وتشجيع الاهالي على انشاء الشركات للاستثمار بخيرات هذه الاقنطار التي يقال انها كلها كنوز لا تقفد .

( رأي الأستاذ الفاضل الشهير )

اسكندر بك عمون

اصبح نظام للدولة على ما بين العناصر والولايات العثمانية من التباين في الحاجات والاختلاف، والعادات والتقاليد، وعلى ما بين اهلها من التفاوت في الحضارة، ان تحمل ممالك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها الخاصة استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها، مع ارتباطها جميعاً في الشؤون العمومية على نحو نظام الولايات المتحدة الاميركانية أو الممالك الجرمانية، فتسمى حينئذ الولايات أو الممالك العثمانية المتحدة ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي : انه النظام الوحيد الذي يمكنه أن يجمع بين الولايات والامارات العربية في جزيرة العرب وسائر الولايات المتنازة وغير المتنازة

( رأي الكاتب العالم )

نجيب بك البستاني

أحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانية

اهم ما يجب لاهياء امر الدولة العثمانية واعلاء شأنها انما هو العدل الصحيح في

الرعية ، واصلاح المالية ، فهما اساس الملك وبهما قوام الدول . ذلك بان تشترك جميع تناصر المملكة على نسبة كل منها الى المجموع ، فيعهد في الوظائف التي هي الكفاءة ، وتؤدي الرواتب في مواعيدها ، وتوضع المكوس على ما تطبق الرعية ، وتستثمر المعادن ، وتقام اعمال الري والطرق الحديدية وغيرها على السواء في جميع اقطار البلاد ، وتستعمل الدولة في الاصلاح وتعميم التعليم العلماء الراسخين من الشرقيين والغربيين ، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل فئة العدم الذي من الاعيان والثواب دون محاباة أو تفاضل . فتي حصل ذلك توفرت الاموال بالاجل كلفة الجيش ، وساد الامن واستوثقت الرعية من الوازع ، وانتظمت انشوري وحصلت الالفه بين الامم الخلفه ، وانصرف هم القائمين بالامر الى استصلاح الزراعة وازقية الصناعة والعناية باسباب العمران ، ونبذوا الشقاق وصدقوا في حب الوطن وتوحدوا على الامر مخلصين منزهين عن المطامع الشخصية بما يزيد هيبة الحكومة ويؤيد سلطانها يتم ذلك باذن الله اذا امتنعت الدول عن تفكير الامر على العثمانيين ، ويجري هؤلاء نحو ما تقدم ربع قرن أو ما يزيد ، لتال الناشئة - وعليها الممول في الاحتفاظ بعمل الاصلاح - من العلم والمدنية والمران على الاعمال ما يضمن للدولة صحتها وعظمتها ، ولعثمانيين اتحادهم واستقلالهم

### ( رأي الكاتب البليغ )

#### الاستاذ امين افندي البستاني

سألني رأيي في الدولة ومصيرها : جاز بالدولة في هذا العام عبرة كبرى اذ لم تعتبرها نالها ما هو اشهر منها . وللدولة الآن بقية ملك هو ابد مدي وانزع حتى واطيب بقعة من جل الممالك الأوروبية ، فهل لها أن تعدل في الباقي من هذا الملك وتمنعه حادثات الدهر ؟ الله اعلم . على أن الدولة لا تجهل اشراط الملك على الملك وما هو مبق له وما هو ذاهب به ، حتى لقد اصبحت الدلالة على وجوه الاصلاح المنشود من مبتذلات الكلام ، وملوكات الافواه والاقلام ، فهل الدولة أن تعمل بما علمها الدهر على حين لم يبق لها من ناصر الا ما تسمى اليه من ترميم هذا الملك العزيز ، والا فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانع له ، وحسبكم الاشارة يا لياه هذه الدولة . فاعدلوا بين ضروب الرعية لان دولتكم مستمدة من جنتها لا من اباضها وقدموا الكفو على غيره مهما كانت نفعه ومنبت اسننه ، واستعملوا الاجنبي

في تدبير ما أنتم ضعاف عن تدبيره واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا  
تفريط وخذوا بالجدد الصالح واخضعوا القديم المبذل ثم اعدوا للملك عدته من  
رجال ومال ، والله الوافي في هذا الباقي

( رأي استاذنا الاجتماعي الكبير )

أحمد لطفي بك السيد

مدير الجريدة

( وصل في آخر ساعة لفياب حضرته عن القاهرة )

راجعت نفسي فوجدتني غير حاصل على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكوين رأي  
صحيح في الوسائل العملية لاصلاح الدولة العلية . وان الذين يستطيعون معرفة هذه  
الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياستها والواقفون بانفسهم على ما اجهله من  
المقدمات الضرورية لتكون رأي صحيح غير أن لرقى الامم وهبوطها قوانين قد  
تفني لتكون رأي اجمالي ونظري في الاصلاح

مهما كانت الاسباب التي حثت أوروبا على اضطهاد الدولة العلية فلا شك في أن  
وقوعها في الضعف والهرم هو اهم تلك الاسباب ، وليس يوجد مانع طبيعي يمنع  
الدولة بعد أن مسها الهرم من استعادة شبابها بالاخذ بالتعليم الحديثة من حيث الحكم  
والترية والتعليم وتدير حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة . ولست  
اجد في هذا الحاضر ما يرحح كفة توقع الشر في المستقبل على كفة انتظار الخير .  
فاذا قام العنصر الحاكم باحترام اطماع العناصر المحكومة والنهضة بالامة عن الجمود  
الى التسامح بجميع الاساحة الحديثة ان في التريية وان في الاقتصاد ، أمكن الحكم  
بهذه الدلائل على الاصلاح المنتظر . نعم ان ظروف الخارجية دخلا في اصلاح  
الدولة ولكن العثمانيين هم المسؤولون وحدهم عن اجراء هذا الاصلاح . عليهم عمل  
ما في قدرتهم والله يتولى امر ما لا يقدرون عليه

( المنار ) هذه آراء أشهر حملة الاقلام وعلماء السياسة والقوانين من المهجرين  
والسوريين ، وأكثرهم متفقون في الرأي فيما صرحوا به وما لم يصرحوا ، ولانكاد  
نرى خلافا صريحا بينهم الا في مسألة استخدام الاجانب أو استئانة الدولة بهم ، أجازها  
أو أشار بها بعضهم صريحا أو تلويحا وحذر منها بعض أهلها الا كثرون . وصرح جماعة  
بمسألة الامركزية أو الاستقلال الاداري للولايات أو الاقاليم . ولم يحفل هذا الجمهور الجديد  
بمسألة القوة الحربية ولا البحرية التي تعدها الدولة بتقاليدها الموروثة كل شيء . وقد  
انفردنا بابداء الرأي في مسألة الدفاع . فلتعتبر بهذه الآراء الامة وان لم تعتبر بها الدولة .



## ﴿ عبد العزيز بك علي المصري ﴾

عبد العزيز بك المصري - أو عزيز بك كما تقول الترك - من ضباط أركان الحرب المشهورين في الجيش العثماني . وقائد برقه في قتال الجيش الإيطالي . وقد قبض عليه في الأسر سنة منذ شهرين وسجن بأسر ديوان الحرب العرفي ، ولم يعرف السبب الرسمي لذلك ، فحدث لذلك من التأثير السيء في مصر وسورية وغيرهما من البلاد العربية فوق ما كان ينتظر ، وصار ذلك شغل الجرائد العربية الشاغلة ، وسرى هذا التأثير إلى كثير من الجرائد الأوروبية . وتناقلت الجرائد عن الأسرنة أن الذي وثق به هو الشيخ عبد العزيز شاويش الذي وظيفته التجسس على العرب . وقد دعا شيخ الجامع الأزهر أشهر علماء المصريين وفضلائهم إلى عقد اجتماع للتشاور فيما يجب اتخاذه لانصاف هذا الرجل ، فاجتمع الوف من الناس في ٢٦ من هذا الشهر . وكانت قد دعي إلى الخطابة فيما يتعلق بهذا الموضوع رفيق بك العظيم ومحمد أفندي لطفي جمعه ومحمد أبو شادي بك وإبراهيم بك الهلباوي - الثلاثة من المحامين - فخطب كل منهم فاجاد ، واتوا على عبد العزيز بك المصري واطروا خدمته للدولة واقاموا الدلائل والبيانات على استهجان القبض عليه وقدوا ما شاع وما تصور من اتهامه به . وخطب صاحب هذه المجلة خطبة أرحمالية وحيزة افترحت عليه عند ما وصل وأخذ مجلسه من مكان الاحتفال ، واختار ناظم عقد المجنة حسن باشا رضوان أن يكون الخطيب الثاني ، فأجبتا الطاب ، ثم افترحا علينا أن نكتب ملخص ما قلناه وننشره وهو هذا :

افترح علي الآن أن أقول شيئاً في الموضوع الذي عقد لاجله هذا الاجتماع ولم يكن اسمي في جدول الخطباء - وهم كثير - فانا أقول كلمة وحيزة حتى لا اضيع على الخطباء المستعدين وقتهم

سمعتُ ما شرحه الخطيب الأول ( رفيق بك ) من خدمة عبد العزيز بك المصري للدولة والامة في إقامة الدستور وتأييده ، وفي مقاومة حرب المصائب المسلحة في مكدونية ، وفي اليمن وقرقة . وستمسمعون من سائر الخطباء شرحاً أوسع في أثناء على الرجل . وانني اظن كما تظنون أن الرجل بريء مما رمى به السعاة الواشون ، ولكنني اني كلمتي على غير الاساس الذي بني عليه رفيق بك كلامه ،

(المنار - ج ٤) (٤٠) (المجلد السابع عشر)

فقال لا افرض انه بريء ، وانه يخشى أن يؤثر في انشاء المحكمة التي تنظر في نضيته ما يدور حولها من السعائيات والالوهام فتصدق بعضها وتبني عليه الحكم ، ولا أقول بوجوب عقابه اذا كان مذنباً أو طلب العفو عنه بعد الحكم ، بل أقول قولاً آخر فيها كوه : يجوز أن يكون عبد العزيز المصري قد أتى بذنب ، لأننا نحن المسلمين لا نقول بعصمة أحد من البشر غير الانبياء الذين يبلغون رسالات ربهم فيما يتوقف عليه امر التبليغ وحكمته ، كما يجوز أن يذنب كل واحد من الناس وليس فيهم اياء مرسلون . نجوز هذا عقلاً وان كان لدينا دلائل متعددة تؤيد البراءة الاصلية ، أظهرها أن الرجل بقي زمناً في الاستانة بعد عودته من برقة كانت توكل اليه الاعمال العسكرية التي لا توكل عادة الى المجرمين المستحقين للسجون ، ولم يؤخذ بالتهمة المبهمة الا بعد استقالته من الخدمة ، ولم يكن له بعدها عمل صالح ولا سيء . وانما أخذ بسطابة واش ففسد . فتفرض انه مذنب ، وإن ذلك الواشي الخبيث صادق

أنتم تعلمون ان الامم لا تمز ولا ترتقي الا بالرجال القادرين على الخدمة العامة للامة العائين بها ، وهؤلاء الرجال قليلون ، لذلك يجب ان يعرض بهم وتقال عزائمهم . وعزيز المصري من هؤلاء الرجال بديل ما قام به من الخدمة العامة للدولة والامة ، فاذا صدق ذلك الواشي النمام الخبيث -- وما كان الا كذوباً -- في زعمه انه قد أتى ذنباً يحاكم عليه ، اليس له من حسناته وخدمته العامة شفع يقضي أن تغفر الدولة ذنبه وتقبل عثرته ؟ وهل كان الذين يريدون الانتقام منه براء من الذنوب والعثرات ؟ أم تقول لهم كما قال المسيح عليه الصلاة والسلام حين حيي بالمرأة الزانية لاجل زوجها ؟ كلا ان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، ولنا في سيرة اصحابه وائمة العدل من خالفاته ما نهدي به في مثل حادثة عزيز المصري .

كان ابو محجن انهفي مدم من خمر في الجاهلية وقد ايلم ولقي النبي (ص) وروى عنه حديثاً . وكانت الحمرة قد احدثت له مرض الحمار فكان لا يستطيع تركها ، وكانوا يجلدونه اذا شرب فيري الم الجلد دون الم الحمار . وقد حضر حرب القادسية مع سعد بن ابى وقاص (رض) خبسة سعد وقيدة بومة الشرب ، وقد اتهم المسلمون مع الجوس . . . كة شديدة ، وكان سعد مجرم . ألم يحضر المعركة بن سعد على سطح بيته ينظر ما يفعل المقاتلون . فلما رأى ابو محجن ربحي الحرب عائرة وساق على المسلمين ان يملأوا ، رغب الى امرأه العائد العام أن تخله من قيده ليحضر أسر كذا وعامدها بان يعود الى قيده اذا هو سلم . ففعلت . فوثب على فرس سعد يقال لها

## (المنار - ج ٤ : ١٧٠) قصة زهرة بن حوية وحاطب ابن أبي بلنعة ٣١٥

البلقاء ، وحمل برمحه على جيش الاعداء ، فكان لا يحمل حملة إلا انهزم الاعداء امامه . وكان سعد (رض) يرى ذلك ويتمجب ويقول : الكر كر البلقاء والحل حل أبي محجن (١) وأبو محجن في الفيد . ولما انهزم العدو رجع أبو محجن الى قيده كما وعد امرأة سعد . واخبرت هي سعداً بما كان ، فاطلقه من قيده ، وقال : لا احدث اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه . فقال أبو محجن : لقد كنت اشربها اذ يقام علي الحد فيطهرني ، واذ قد حاييتني (٢) فوالله لا اشربها ابداً . وتاب من ذلك اليوم ولدنا شاهد آخر من وقائع القادسية : زهرة بن حوية هو الذي قتل الجليزوس ، قائد جيش الجوس ، وقد اخذ سلبه بدون إذن القائد العام سعد بن أبي وقاص ، فانزته سعد منه وأراد أن يؤاخذه ، ولكنه كتب الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب يسأله في ذلك . فكتب اليه عمر (رض) : نعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به ، وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه ؟ (٣)

انكر سيدنا عمر على سعد عمله ، وانهض زهرة سلبه ، لانه رأى أن عمله الماضي والحاجة الى عمله في المستقبل أرحح من هذه الخيانة وأن المصلحة تقتضي ذلك .

ان لنا فوق هذا كله اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر حاطب بن ابي بلنعة : نقض مشركو قريش عهد النبي (ص) فاراد أن يزحف عليهم لفتح مكة ، وكان لحاطب أهل ومال بمكة خاف عليهم لانه ليس لهم احد يحميهم ، فكتب الى أهل مكة يخبرهم بزم النبي (ص) فلم النبي (ص) بما كان ( وارسل من اخذ الكتاب من امرأة كانت محمله في عقاص شعرها ) وسأل حاطباً عن ذلك فاعترف واعتذر بالخوف على أهله وولده وأنه عمل ما لا يضر الله ولا رسوله . فقبل عذره . واراد عمر بن الخطاب الذي تضرب الامم بدمه المثل أن يقتله ، لان افشاء سر الحرب من اكبر الذنوب العسكرية فجعله عمر دليل التفاق ، واستأذن النبي (ص) بقتله فلم يأذن له ، وقال « انه شهد بديراً »

عد النبي (ص) شهود غزوة بدر من اقوى آيات الايمان، والصدق والاخلاص

(١) لفظ سعد (رض) ه الضرب ضرب البلقاء ، والظن ظن ابي محجن ، الخ والضرب بالضاد المعجمة كر الخيل وعدوها ، والظن الوثوب (٢) كلمة المأثورة « بهرجتي » ونحن ذكرنا المعنى المراد من هذه الكلمات لينهما جيم الحاضرين . وقد أشكل على بعض الناس ترك سعد اقامة الحد وحملوا سبيه ، وهو ان الحدود لا تقام في الحرب ولا دار الحرب ، كما نراه في الفتوى الملاحقة بالتفسير من هذا الجزء ، وسعد بعد هذا وهو مما وصى به عمر ، ولا يبعد ان لا يبرء مثل ابي محجن (٣) الفوق بالقم موضع الوتر من السهم ، ويطلق على السهم بمعنى الحظ ويعني أعلى الفضائل .



في الاسلام، لان المسلمين كانوا وينفذ في قبة عدد، وقلة مال، وقلة طرام، وقلة ركائب، كانوا في اشد الضعف، وكان المشركون في أوج قوتهم، فمن يبذل نفسه في سبيل الله في مثل تلك الحال، لا يبذلها الا بياض الايمان وحافز الاخلاص، وتلك حسنة تضاهل بازائها أي سيئة من السيئات

فلنفرض أن عبد العزيز المصري قد اجترح ذنباً عسكراً كبيراً (كذب حاطب أو ما لا كذب زهرة بن حوية، أو شخصياً كذب أبي محجن رضي الله عنهم)، وان ذلك الواشي الخبيث صادق فيما رماه به - وما كان الواشي التام الخبيث الا كذوباً قاصفاً - اليس له من الجهاد في سبيل الحكومة الدستورية عند تكوينها ومن الدفاع عنها أيام كان الخطر محققاً بها، ما يشبه حسنة حاطب في شهود غزوة بدر؟ وما كان حاطب متمزراً فيها بشيء انفرد به دون سائر من حضرها، ولا كان في مقدمة الذين أبلوا فيها وأنحوا؟ وأما عبد العزيز المصري فكان في مقدمة الضباط الذين أبلوا في فتح الاسنة وفي غيرها من الاعمال العسكرية التي ايدت الحكومة الحاضرة، فهو حدير بان يكفى منه بالاعتذار، اذا فرضنا انه ارتكب بعض الاوزار، دع خدمته للدولة في عقد الصلح بينها وبين ام البنين، بعد حرب استمرت عدة اجيال، سفكت فيها دماء مئات الالوف من الرجل، وضاعت بها القناطير المقتطرة من الاموال، ولم تسفد الدولة من ذلك فائدة ما، فكان ذلك الصلح من افضل الاعمال وانفعها للدولة ولاهل البنين - ثم دع خدمته في قتال الجيش الايطالي في برقة

واذا كان هذا الاجتماع العظيم قد عقد لاجل التشاور في انصاف هذا الرجل، أو انقاذه من الخطر، قد جمل تحت رياسة الاستاذ الاكبر شيخ جامع الازهر، وشهده طائفة من اكبر علمائه، مع هذا الجمع العظيم من خواص البلاد - فالذي اراه وأقترحه هو أن ترسل برقية بامضاء الاستاذ الرئيس الى مولانا السلطان المعظم يخاطبه فيها بمنوان الخلافة، ويبتدئها بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ويطلب منه بان لا يؤاخذ عبد العزيز بك المصري بما عساه ينسبه اليه ديوان الحرب من ذنب أو تقصير، لا خلاصه وسابق خدمته للدولة، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة حاطب، وبامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امضاء سلب الجالوس لزهرة بن حوية وبمسعد بن ابي وقاص في مسألة أبي محجن (رضي الله عنهم اجمعين) ويظهر له رغبته ورغبة هذا الجمع الكبير من علماء مصر وفضلائها في ذلك. واكبر ظني أن هذا هو أرجى ما يرجى نفعه في الاسنة.

## (المنار - ج ٤ م ١٧) التعصب علم المنار على دعوة الى التسامح ٣١٧

هذا وانني اختم كلتي بالشكر لكم ايها الفضلاء الذين قصدتم هذا المكان للسمي في اقتاذ اخ لكم من الهلاك فان هذا خدمة للانسانية، ومحاظ على حقوق البشر في الحياة والحربة، وقد قال الله تعالى ﴿ومن احيانا فكأنما احيانا الناس جميعاً﴾ قال بعض مفسري السلف احيائها السمي في اقتاذها من الموت . والسلام .

هذا وان لجنة الاجتماع لم تعمل بهذا الاقتراح لانها كانت قد وضعت صورة برقية باسم الصدر الاعظم تتضمن معنى شفاة الامة المصرية بالرجل . فاجابها جواب من انور باشا ناظر الحرية ، ملخصه ان المجلس الحربي مستقل تمام الاستقلال لا يطرأ عليه أقل تأثير !!

### ﴿ التعصب على المنار ﴾

هاج بعض غلاة التعصب على المسلمين هيجة شؤمي على المنار في هذا العام ، وجددوا السمي الى الوكالة البريطانية اولا وبالذات والى الحكومة المصرية ثانياً وبالتبع ، لتبطش بصاحب المنار قتلقيه في غيلة السجن ، أو تقيه من ارض مصر ، واستعانوا على محلمهم وسمايتهم ببعض القسيسين وغير القسيسين ، من الاجانب والوطنيين ، ونشأ سموم تعصبهم في جرائد القبط وبعض الجرائد الافرنجية التي يحرر فيها بعض السوريين . وكان محضاء نار هذه الفتنة ، والمدير الاول لهذه المكيدة ، يوسف الحزن اللبناني الذي يعيش من التحرير في جريدة الوطن القبطية ، وجريدة دوكير الفرنسية ، وهو هو الراسخ في بعض المسلمين الذي نقل عنه انه قال : اذا صافحه مسلم تضطرب اعصابه ، ولهذا لا تكاد تراه يبدأ مسنداً من معارنه بالمصافحة .

قد عرف القراء ما كتبناه في الجزء الماضي شيئاً من خبر هذه الهيجة التعصبية على المنار ، ولعل أدباء القراء ظنوا أن ما كتبناه في الجزء الماضي قد اظنوا بما يتجلى فيه من حسن نيتنا نيرانهم ، واستخرج بحججه وسماحته اضفائهم ، كلا انه لم يزد هم الا بقاء وعدواناً ، وسعاية ووشاية وزوراً وبهتاناً ، ففحن تثبت من تاريخنا ومما كتبناه في المنار من أول نشأته الى الآن ، اتنا طلاب تسامح ووفق ، وهم يريدون أن يقبلوا الشيء بضده فيوهوا من يسمع كلامهم اتنا دعاة عداوة واقتراق ، نحقر الثعاري وندعو المسلمين الى بفضهم وعداوتهم لاجل دينهم !!

حسب الانسان أن يعلم من نفسه ومن نيته السمي للخير ، والاخلاص في العمل ، فان كان يبالي باطلاع الناس على عمله ، ومظاهر حسن قصده ، لاجل الاسوة الحسنة ،

## ٣١٨ التعصب على المنار على دعوته إلى التسامح (المنار - ج ٤ م ١٧)

والتعاون على الخدمة العامة ، فحسبه أنت يرف أهل الاخلاص و حسن انية منه ما يعرفه من نفسه .

ونحن - ولله الحمد والمثمة - اصحاب تاريخ معروف ، وأثر في السعي الى الاصلاح والاتفاق مدون مطبوع ، يرفه قراء العربية ، ولا يجبهه خواص الائم الافرنجية ، وحسبك ما نوه به في العام الماضي أصحاب المجلة الفرنسية انصرية بصمر ، وجريدة فرنسا الاسلامية في باريس ، من حسن تأثير خدمة المنار في المسلمين بحملهم على التسامح والمدنية ، وما سموه « المدرسة العبدية » هو ما بثه المنار من مشرب شيخنا الاستاذ الامام من إثبات التسامح الاسلامي والدعوة اليه ، والتأليف بين قواعد الاسلام الثابتة ، وبين المدنية الصحيحة . وما قالته هاتان الصحيفتان اخيرا هو صدى ما كتب في جريدة الطان من بضع سنين في سياق الكلام عن مسلمي تونس ، وما كتبه لورد كرومر عن حزب الشيخ محمد عبده في تقريره الذي ذكره فيه عقب وفاته . وهل لمشرب الشيخ محمد عبده وآرائه مظهر عرفت به في الاقطار ، غير مجلة المنار ؟ بل نقول ان هذا المشرب مما اتفق فيه رأينا مع رأي الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يكن مما تلقيناه عنه ، وما لنا فيه من القول والسعي اكثر ، ما كان له ، ومن الشواهد على ذلك ما كتبناه في فائحة العدد الاول من المنار ، وفي اول نبذة فيه بعد اتفاقية ، ولم تكن يومئذ تلقينا عن الاستاذ درسا ، ولا بسطنا معه في هذه المسألة وامثالها قولاً . قلنا في بيان خطة الصحيفة وما أنشئت لاجله ما نصه « ونحاول افناع أرباب النحل المتباينة ، والمذاهب المختلفة ، ان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان ، وان المعارضة والمناهضة ، والمناصبة والمواثبة ، تقضي الى خراب الاوطان وتقضي على هدي الاديان »

وبينت في النبذة التي بعد المقدمة ان لفظ الكفر لم يستعمل في الكتاب والسنة للاهانة ، بل لبيان حقيقة من الحقائق . وأنه يستعمل الآن في غير ما كان يستعمل من قبل ، ومنه ارادة السب والشتم ، فلا يجوز ان يوجه بهذا المعنى في الخطاب بدهاء أو وصف الى من حرم الشرع إيذاهم وجعل لهم حقوقا محترمة من الذميين والمعاهدين (الاجانب الذين ينتمون وبين المسلمين عهد على ترك الحرب اي غير المحاربين) واستخرجت نصا من كتب الفقهاء على ذلك لا حاجة لاعادة ذكره هنا

بعد هذا التمهيد اقول ليوسف الخازن واصحاب الجرائد القبطية من غلاة التعصب ومبغضي المسلمين كيفما كانوا ولجميع من هو مثلم من وطني او اجنبي :



قولوا فينا ما شئتم ، وظنوا ما شئتم ، واعتقدوا ما شئتم ، وهيجوا من شئتم ،  
ولتدب تقارب سمائكم الى من شئتم ، فتحن لا نبالي بكم ، ولا نأبه لرضاكم ولا  
لسخطكم ، فمن أخطأ الى مثلكم فهو الذي يحسن منه ان يصبر ولا يعتذر ، اذ لا  
صارف لكم عن شيء من الشر ، الا مكاتكم من الضيف والمجز ، وها انتم اولاء  
قد اجهستم كيدكم ، وبذلتهم في سبيل ايذاننا جهدكم ، فما كنتم الا خائبيين مخذولين  
« ان الله لا يصلح عمل المفسدين » نعم لو كان ساسة الانكايين كساسة القبط في  
عقولهم واخلاقهم ، وكان لورد كتنشر كيوسف الخازن في تعصبه وحفنه على  
المسلمين ، لا تقل النتار ، وتقي صاحبه من هذه الديار ، وتبعه اقبال الازهر بعد  
دار الدعوة والارشاد ، ولو رأيت من جمهور المشاويين لكم باقب الدين مارأيت  
منكم ، لقلت للمسلمين انه قد ظهر لي في السنة السابعة عشرة من دعوتي اياكم الى  
الاتفاق والتعاون مع هؤلاء الناس على ترقية البلاد ، انهم لا يمكن ان ينفقوا معكم ،  
ولا يرضيهم منكم الا خروجكم من دينكم ، أو اقامتكم فيه على خسف ، لا تدفعون  
عنه بحق ، ولا تقابلون محاولي إبطاله واخراجكم منه بالمثل ولا دون المثل ، ولسكن من  
فضل الله على عباده ان مثل هؤلاء الثلاثة قليل ، ولهذا لا نأيس من خفتنا ، ولا نرجع  
عن قاعدتنا وهي (تعاون على ما اشترك فيه ، وبسذر بعيننا ايضا فيما يختلف فيه )

### ﴿ المسألتان الشرقية والصهيونية ﴾

ما تبددت ثروة شريف باشا الكبير في مصر الا وكان بددها مكونا لثروات  
جديدة لم تسكن ، ومددا لثروات أخرى وزيدا فيها . ذهبت تلك الثروة الكبيرة  
من عجزوا عن حفظها بله تميمتها ، الى ايدي النقادين على ذلك . وكذلك تبددت  
الدول فتألف من الكبيرة منها دول متعددة ، وتنمى وتنسج دول أخرى - سنة  
الله في تغذي الاحياء بفرائسها ، من افراد الجنة ( الميسكروبات ) والهوام ، الى  
جهاجات البشر . أرفى انواع الحيوان .

ومن عجائب العبر ، في تفاوت هم البشر ، أن ترى كائنا صغيرا في خدمة غني  
كبير يطعم ان يرث ثروته او ينشئ لنفسه مثلها ، وذلك الغني يأس من حفظ ثروته  
واستبقائها وان تعجب من تكون ممالك الباقار واليونان والعرب والحبلى الاسود والالبان  
من املاك الدولة العثمانية في أوربة ، وتغذي الدول الكبرى بأملها في افريقية  
وقح افواهن لا يتلأع املاها في آسية . فاعجب من ذلك كله تصدي جمعية من

يهود أوربة لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة تتألف من مهاجرة فقراء اليهود المذوقين في جميع اطراف الارض بمساعدة هذه الجمعية ؟ فكيف تسوهمة جمعية أسسها رجل من اليهود الى تكوين دولة من اوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الارض فيها اقوى الامم والدول ، وتسفل همهة اصحاب هذه البلاد عن حفظها لانفسهم ، دعى سمو الهمة الى تأسيس ملك جديد ، في قطر قريب او بعيد . وهكذا تموت الناس ونحيا ، وهكذا تردى وترقى ، واسباب ذلك ظاهرة لا محل هنا لشرحها ، وكلها تدور حول العلم او الجهل ، وعلو الهمة او طوؤها ، وكبر انقاصد وصغرها . « والعلم ما يمرتك من انت ممن مملك »

علم الصيونيون ان الدول الكبرى لا يسجن لواحدة منهم بامتلاك مهيمن النوحى ومصدر الدين الموسوي والميسوي وانه اذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين فلا بد ان تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول (بهذا رأي بعضهم في الحجاز ايضا) فطمعوا في ارضاء الدول بأن نحل اشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم اصحاب انك في هذه المملكة ، بل طمعوا ايضا في ارضاء جمعية الاتحاد والترقى بذلك ، بل يدالهم اقدسوها به فبي تساعدهم على التمهيد له لتقطع الطريق على العرب وتكثر خصومهم في بلادهم ، ولا محل هنا للبحث في اثبات هذا القول او نفيه ، وانما جئنا بهذه المقدمة كلها لاجل تذكير الذين اكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها .

يجب على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين . اما عقد اتفاق مع زعماء الصيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان امكن - وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من باب ، وظلموه بأسبابه - وإما جمع قواهم كلها لمقاومة الصيونيين بكل طرق المقاومة ، وأولها تأليف الجمعيات والشركات ، وآخرها تأليف المصائب المسلحة التي تقاومهم بالقوة - وهو ما نحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو السكى - والسكى آخر العلاج كما يقال .

### ﴿ السيدة دُعمى آل رضا ﴾

في النصف الثاني من ليلة الاحد سادسة ليالي شهر ربيع الاثور وهبنا الله تعالى بنأ سمينها دُعمى ، والله نسأل ان يحقق معنى الاسم في المسمى ، وقد قاتسا ان نذكر ذلك في الجزء الماضي .